عاد وائل من مدرسته سعيداً, ثم دخل حجرته فوضع حقيبته , ثم انطلق يبحث عن جده , فوجده في حجرته يختم صلاته وما أن أتمها حتى انطلق إليه وائل يحدثه .  
وائل : كيف حالك الآن ياجدي العزيز ؟

الجد : مرحباً وائل , ماذا فعلت في الاختبار ؟

وائل : كان اختباراً سهلاً , المهم , انتهت المذاكرة , وعليك أن تحكي لي حكاية عن المغول كما وعدتني , وأذكرك أن وعدَ الحُر دينٌ عَليه .

الجد : هاهاها , وأنا عند وعدي يا وائل , من أين نبدأ ؟.

وائل : لقد جمعت بعض معلومات عن الموضوع , من أمي وأبي , والمكتبة , فأنا لا أعلم أي شئ عن المغول كما قلت لك من قبل .

الجد : وماذا عرفت عنهم ؟

وائل : قل لي أولاً , هل المغول هم التتار ؟

الجد : لقد أُطْلِقَ عليهم التتار , ولكن ليست هذه هي الحقيقة ؟

وائل : وما الحقيقة ؟

الجد : قل لي أولاً : ماذا عرفت عن المغول ؟

وائل : قال أبي : أن قائدهم يدعى ... يدعى ... آه تذكرت يدعى جنكيز خان .

الجد : نعم , ولكن هذا ليس اسمه , بل لقبه .

وائل : لقبه ؟!! وما اسمه الحقيقي ؟ ومامعنى هذا اللقب ؟

الجد : معنى جنكيز خان ( الحاكم الأعظم ) , أما اسمه الحقيقي فهو تيموجين .

وائل : اسم القائد تيموجين ! ولكن من المغول ؟ ومن أين أتو ؟

الجد : إنهم جيش جرار من الرعاةِ البدو .

وائل : جيش من الرعاة البدو ! أنا أتصورأنهم أناس بدائيون لا يعرفون فنون القتال , ومن كلمة "جيش جرار" أفهم أنهم كانوا يعتمدون على كثرتهم .

الجد : لا , إنهم كانوا بارعين في فنون القتال حتى أن الطفل الصغير منهم يتدرب على ركوب الخيل في سن الخامسة تقريبا ً.

وائل : أي أنهم جيش كبير من الجنود المدربين .

الجد : لقد كانت الحرب هي شغلهم الشاغل وكانوا ذوا أجسام قوية .

وائل : إنهم إذاً جيش مخيف .

الجد : نعم , هم كذلك .

وائل : ولكن كيف كانت بدايتهم ؟

الجد : كانت بدايتهم هي بداية جنكيز خان ؟

وائل : وما حكاية جنكيز خان ؟

الجد : هذه مغالطة ... لقد اتفقنا أن أحكي لك حكاية عن المصريين أيام القائد قطز الذي انتصر على المغول ... وأنت تريدني الآن أن أحكي لك عن جنكيز خان .

وائل : احكِ لي عن جنكيز خان , أو تيموجين قائد المغول حتى أفهم قصتك .

الجد : حسنا , الغداء لم يعد بعد , سأحكي لك قصة تيموجين باختصار حتى تجهز أمك الغداء.

وائل : كل آذاني مصغية .

الجد : كان في منغوليا بآسيا ولد صغير يدعى "تيموجين" , وكان تيموجين ابن يوسكاي رئيس القبيلة , وحينما كان تيموجين في التاسعة من عمره قتل التتار أباه , فاشتغل هو وإخوته بصيد السمك من نهر" أونون" كما قاموا بعمل شرك لصيد الحيوانات ليواجهوا نفقات الحياة , وكانت أمهم تجمع التوت البري وتبيعه لتربي صغارها , ولم تكن لقمة العيش هي شغلهم الشاغل فقط , بل كانوا يتدربون على ركوب الخيل وفنون القتال كباقي أفراد القبيلة , حتى بلغ تيموجين مبلغ الرجال , فقرر أن يتحالف مع طغرل زعيم قبيلة "كرايت" , كما تحالف مع "جاموكا" وقرر أن يكون ( آنذا) .

وائل : وما معنى آنذا ؟

الجد : آنذا يعني أخا في الدم .

وائل : أي أنه أصبح له حليفان أحدهما هو زعيم قبيلة كرايت يدعى ...سأتذكر .. اسمه "طغرل"

الجد : نعم , الاسم صحيح .

وائل : ثم تحالف مع ذلك الذي جعله ( آنذا) أي أخا في الدم ... وكان اسمه "جاموكا" .

الجد : أحسنت , أنت منتبه جيدا .

وائل : أكمل يا جدي , وماذا حدث بعد ذلك ؟

الجد : أغارت قبيلة "ميركيت" على قبيلة "تيموجين" .

وائل : لماذا ؟

الجد : ليس لسبب ما , هذا هو شأنهم مع بعضهم بعضاً , فهم قبائل يغير بعضهم على بعض , ويغتصب أحدهم أموال بعض .

وائل : أي أنهم يعيشون بالحرب وللحرب .

الجد : نعم , وفي إحدى غارات قبيلة "ميركيت" على قبيلة "تيموجين" إختطفوا عروسه .

وائل : وهل كانت له خطيبة في ذلك الوقت ؟

الجد : نعم وكان اسمها "بورتي " , فاستعان تيموجين بحليفيه "جاموكا "و "طغرل" , واستطاع أن يسترد عروسه مرة أخرى .

وائل : حسناً ,أكمل من فضلك يا جدي .

الجد : ولما أصبح "تيموجين" في سن الرجال جمع عدة قبائل تحت إمرته , إما بالغزو وهذا هو الشائع بينهم , وإما بشرائهم , ثم هزم التتار الذين قتلوا والده , وقد كان عديم الرحمة .

وائل : كيف ؟ هل أغار عليهم واستعبد رجالهم ؟

الجد : لا , لقد أباد جميع الرجال , باستثناء الذكور الصغار , أما الأطفال والنساء فقد أُسروا , وعمليا لم تقم للتتار قائمة بعد ذلك .

وائل : وطبعا أصبح أكثر قوة بعد ذلك .

الجد : أجل , ولكن حدث تحول في التحالفات .

وائل : كيف ؟

الجد : لقد اعترض حليفاه " جاموكا" و "طغرل" على قوة تيموجين الكامنة في استحوازه على كل هذه القبائل والغنائم وحده .

وائل : أي أنهم اختلفوا , وكرهو أن تكون له كل هذه القوة وحده , حسنا , وماذا حدث بعد ذلك ؟

الجد : هجم تيموجين على جيش طغرل في معركة شرسة دامت ثلاثة أيام .

وائل : أحارب حليفه ؟!

الجد : نعم , بدأ بطغرل وسحق جيشه سحقا , ثم أغار على قبيلة "النايمان" وهزمهم وأسر حليفه "جاموكا"

وائل : انتظر !!... أليس هذا هو أخاه في الدم ( آنذا ) ؟

الجد : نعم .

وائل : وماذا فعل به ؟

الجد : قتله .

وائل : قتله !!! ... تخلص من حليفه الذي آخاه في الدم .

الجد : نعم ... وهكذا أصبح تيموجين قائداً بمساعدة حليفيه ثم تخلص منهما .

وائل : وماذا حدث بعد ذلك ؟

الجد : لما بلغ تيموجين سن الأربعين اجتمع كبراء القبائل ومن بينهم تيموجين وقروا أن يلقبوه بلقب جنكيز خان

وائل : جنكيز خان يعني الحاكم الأعظم ,أليس كذلك ؟

الجد: نعم , وهكذا تقدم المغول بقيادة جنكيز خان ولم يقف في وجههم شيءٌ ولم يهزموامرة واحدة.

وائل : لم يهزموا أبداً, لقد سمعت أنهم توغلوا كثيراً حتى أنهم وصلوا لبعض بلاد أوروبا .

الجد : نعم , وقد اقتربوا جداً من مصر فقد احتلوا العراق , ثم سوريا وقبل أن يدخلوا مصر قابلهم جيش المصريين بقيادة قطز وهزمهم . كانت هذه هي الهزيمة الأولى وقد تراجعوا بعدها وانكمشوا حتى تخلص العالم من شرورهم .

وائل : ولكن يا جدي ما سر استمرار المغول ؟ ولماذا لم ينهزموا أبداً هذه الفترة ؟

الجد : لقد كان المغول بارعين في القتال , ولم يكن لديهم شفقة أو رحمة , فكان من الممكن أن يبيدوا قرية بكاملها ليضمنوا استسلام كل من حولها ثم أنهم كانوا يلجئون للحرب النفسية .

وائل : كيف ذلك ؟ فأنا لا أفهم هذه العبارة ؟

الجد : كانوا يصنعون حراباً لها ثقوب لتحدث صفيراً أثناء مشي الجنود فيظن الناس أنهم يسخرون الجان فيلقوا الرعب في نفوس أعدائهم .

وائل : فهمت أي أنهم كانوا يلجئون للإرهاب .

الجد : نعم , وما لا يصلون إليه بالقوة كانوا يصلون إليه بالمكر والدهاء والخديعة .

وائل : وكيف استطاع المصريون دون كل هذه البلاد الكثيرة أن يهزموا هذا المارد المخيف المسمى المغول .

الجد : هذا أمر يطول شرحه , وستتبينه في القصة .

وائل : إحكِ لي الآن .

( تدخل أم وائل الغرفة لتدعوهم للطعام .)

الجد : أرأيت , إنه موعد الطعام , هيا نأكل أولا , وبعدها أحكي لك ما تشاء .

\* \* \*

تتقدم أم وائل لسفرة الطعام بينما يسحب الجد كرسيه ليجلس فيدخل أبو وائل البيت في هذه اللحظة

فيفرح وائل لمقدمه فيسلم الأب على أهل بيته ثم يذهب ليغسل يديه .

وائل : سآكل بسرعة حتى أستمع لقصة جدي .

الأم : ماذا ستحكي لنا اليوم يا أبي ؟

الجد : المهم يا سيد وائل ألا تأكل سريعا حتى لا تصاب بعسر هضم , وتذكر أن عملية المضغ مهمة جداً لهضم الطعام .

( يأتي أبو وائل ويجلس على كرسيه )

الأب : سمعت شيئا عن الحكايات , فماذا ستحكي اليوم يا أبي ؟

الجد : سأحكي حكاية مصرية في عصر قطز .

الأب : سأتخلى عن ساعة النوم وأستمع إليك أنا ووائل يا أبي .

الأم : وأنا أيضا أحب حكاياتك يا أبي .

الجد : إتفقنا ... سأحكي لكم جميعا بعد الغداء .

\* \* \*

في غرفة المعيشة يدخل وائل وهو سعيد , يدخل الجد ثم يتبعه الأب , فيجلس وائل بجوار جده , ثم تدخل أم وائل ومعها عصير الليمون المثلج , ثم تجلس بجوار زوجها . ويبدأ الجد في سرد القصة .

الجد : كان في قديم الزمان رجل حليم اسمه "فهيم" وكانت زوجته "هنية "جميلةٌ بهية .

\* \* \*

يجلس" فهيم" على الكنبة الوثيرة ومن خلفه مشربية كبيرة والستائر مسدلة على جانبيها والسجاد يفرش الأرضية كلها ثم تدخل زوجته "هنية "وقد ظهر عليها أثر الحمل وهي ساندة ظهرها بيد وممسكة صحناً في اليد الأخرى لتضعه أمام فهيم .

هنية : لقد صنعت لك العاشوراء , هاهي .

فهيم : سلمت يداك يا هنية .

( يدق الباب فتفتح هنية ليدخل ابن جارهم ومعه صحن عاشوراء )

هنية : أين أنت يا سعيد لقد ناديتك فلم تُجِبْ .

سعيد : كنت ألعب مع الصغار فوق سطح البيت .

( تأخذ منه هنية الصحن وتعطيه صحنا آخر )

هنية : كل عام وأنت بخير , خذ هذا الصحن لأمك , ثم تعالى لتأخذ باقي الصحون لجيراننا .

سعيد : سمعاً وطاعة سآتي فوراً .

( تجلس هنية لتكمل طعامها )

فهيم : هات صحن أم سعيد . ( يتذوق منه )

فهيم : إنه لذيذ , ولكن ما صنعته أنت ألذ وأشهى .

هنية : لقد وضعت فيه القشدة والمكسرات .

فهيم : آآآه .. القشدة والمكسرات , لقد عرفت السر . ( يضحكان )

\* \* \*

(فوق سطح البيت تجلس "صباح" و"إيفون" وقد أثقلهما الحمل , و الأطفال يجرون هنا وهناك ولا يهدءون وهما عاجزتان عن إطعامهم . )

صباح : يا بُني تعالى إلى هنا , إهدأ قليلاً , تعالي أنت يابُنَيَتِي .

( الأطفال يمرحون ويلعبون ولا يستجيبون لهم .)

إيفون : لا فائدة .

(تصعد هنية إلى السطح فتسلم على جاراتيها )

هنية : كيف حالكما ؟

إيفون : بخير .

صباح : هل خرج فهيم ؟

هنية : نعم , هل أكل الأطفال ؟

إيفون : أبدا يا هنية لا نقدر على الجري خلفهم ... سأتركهم حتى يتعبوا من اللعب ويهدءون قليلا

صباح : سينامون فوراً ... هاتي الصحن أنا سأطعمهم .

( يستجيب الأطفال لهنية ويأكلون )

إيفون : الأطفال يحبونك يا هنية ولا يأكلون إلا معك , أليس كذلك يا صباح ؟

صباح : أجل , أنت تريحيننا كثيراً من عناء الجري ورائهم ليأكلوا الطعام .

إيفون : وهي أيضا تحب الأطفال كما يحبونها , أدعو الرب أن يرزقك طفلاً هذا العام .

صباح : اللهم آمين

\* \* \*

في بهو بيت هنية يجلس فهيم متوتراً قلقاً , بينما صوت صراخ هنية يعلو من وقت لآخر, ثم نسمع صوت بكاء طفل , ومن بعدها تخرج الخالة أم ابراهيم الداية من غرفة هنية .

فهيم : بشريني يا خالة .

أم ابراهيم : مبروك , رزقك الله بنتاً كالقمر.

فهيم : الحمد لله , وكيف حال هنية ؟

أم ابراهيم : بخير يا ولدي , ماذا ستسميها يا فهيم ؟

فهيم : سأسميها "زهرة" على اسم أمي .

ينظر للداية فرحاً ثم يخرج من جيبه مبلغاً من المالِ ليعطيها أجرها .

أم ابراهيم : فرحتنا بابنتك لا تقدربمال , مبروك يا ولدي , سأذهب الآن فصباح وإيفون تلدان وينبغي أن أكون معهما .

\* \* \*

تريزا أخت إيفون قلقة لاتهدأ ولا تستطيع الجلوس , وبينما هي على تلك الحال تصل ام ابراهيم الداية .

تريزا : أدركينا يا خالة , إيفون متعبة جدا هذه المرة .

( تسرع أم ابراهيم لغرفة إيفون و بعد قليل نسمع صراخ الطفل فتجلس تريزا بعد أن اطمأنت قليلا وهي تحمد الله )

تريزة : أشكر الرب . .. أتمنى أن تكون إيفون بخير.

( تخرج أم ابراهيم من الغرفة )

أم ابراهيم : حمدا لله على سلامة أختك يا تريزا , لقد تركت أمك بالداخل تعتني بها وجئت لأحدثك على انفراد .

تريزا : خيرا يا خالة !!

أم ابراهيم : كما تعلمين أن أختك صحتها ضعيفة جداً , فهذا هو طفلها السابع , لا أوصيكِ على تغذيتها , أما الطفل فهو بخير والحمد لله .

تريزا : بالنسبة للتغذية فسأبذل قصارى جهدي .

أم ابراهيم : لقد جئت توا من عند صباح , وهي تعاني مما تعانيه أختك , أتمنى أن يقدرا على إرضاع الطفلين .

\* \* \*

أم ابراهيم وصباح وإيفون يجلسن فوق السطح بعد أن مر على الولادة شهر , يوجد بالسطح تكعيبة للعنب وكراسي خشبية يجلسن عليها .

أم ابراهيم : لقد حزنت لموت ابنة هنية , ولكنها سيدة مؤمنة صابرة .

إيفون : لقد تطوعت وأرضعت ولدي وولد صباح بعد أن كادا أن يموتا جوعاًً .

صباح : لم نعد قادرتين على إرضاعهما .

إم ابراهيم : إن صحتكما ضعيفة , وعليكما بالاعتناء بها لتستطيعا أن تخدما أبناءكما .

صباح : معك حق يا خالة أم إبراهيم , ونحمد الله أن أرسل لنا هنية لتنقذ حياة طفلينا .

إيفون : لقد اقترحت عليها أن تسميهما مادامت ستتولى رعايتهما .

\* \* \*

هنية في البهو وقد تعافت , وبجوارها الطفلان تنظر إليهما بسعادة وفهيم سعيد لسعادتها ويشاركها مداعبة الطفلين

فهيم : حمدا لله على سلامتك يا هنية , كل شئ يهون , المهم سلامتك .

هنية : ليس لدي ما أرد به على كلماتك , كنت أتمنى أن أسعدك بطفل فلما وصل .

فهيم : لا تكملي , فليس هذا بيدك أو بيدي , إنها إرادة الله الحكيم والله أعلم بحكمته في ذلك .

هنية : الحمد لله الذي عوضني عن ذلك هذين الولدين, لقد قالت لي "إيفون" و"صباح ": عليك أن تسميهما , فما رأيك يافهيم ؟

فهيم : لا أعرف ماذا نسميهما .

هنية : سأسمي هذا "عزيزاً "... وهذا "حبيباً"

فهيم : "عزيز" و"حبيب" ... اسمان جميلان

\* \* \*

مرت عشر سنوات ؛ هنية وصباح وإيفون قلقات ينتظرن بالسطح والأطفال من حولهم قد كبروا .

هنية : لقد تأخرا , تُرى ماذا حدث لكما يا أحبائي ؟

إبنة صباح : لقد وصل حبيب وعزيز.

( يدخل السطح طفلان في العاشرة من عمرهما مبتسمين سعيدين )

إيفون : يبدو أنهما قد نجحا .

هنية : أحقا يا عزيز ؟ أحقا يا حبيب ؟

الطفلان : نجحنا .

( تضمهما هنية وهي سعيدة بهما بينما تزغرد باقي النساء )

\* \* \*

هولاكو حفيد جنكيز خان في قاعة من قاعات أحد قصوره يتحدث إلى بعض أتباعه .

هولاكو : لقد قررت أنا هولاكو العظيم أن أغزو غرب آسيا , العراق والشام ثم أغزو إفريقيا بادئا بمصر , وقد جلبت ألف خبير منجنيقات من الصين .

وأصبح حجم الجيش مئة وخمسين ألف جندي , وقد دعوتكم لتكونوا عيونا لي في بغداد ودمشق والقاهرة ؛ أنتم تتكلمون بلسان عربي وهذا سيسهل مهمتكم .

أحد الرجال : ولكن ما مهمتنا على وجه التحديد ؟

هولاكو : أريد أخبــار المكان الذي تصلون إليه أولاً بأول , وأريدكم أن تثيـــروا الفتن بين الناس , و تحرقوا المزارع والمصانع في جميع الولايات , وتضعفوا قوتهم حتى إذا وصلنا كانت مهمتنا سهلة .

( يشير هولاكو لأحد جنوده فيأتي له بزجاجات سم صغيرة ... ثم زجاجات كبيرة بها مواد سريعة الاشتعال )

هولاكو : هذا سمٌ وهذه موادٌ حارقة سريعة الاشتعال ستتدربون عليها جيداً .

أحدهم : وكيف سنتلقى التعليمات ؟

هولاكو : بالحمام الزاجل ستتدربون عليه أيضاً .

\* \* \*

فهيم يجلس في متجره بين العطارة يتحدث إلى أحمد صبيه .

فهيم : يا أحمد هات ورقةً وقلماً لنكتب ما ينقص في المحل .

أحمد : الزعفران أوشك أن ينتهي .

فهيم : الزعفران , وماذا أيضاً ؟

( يدخل عزيز وحبيب ليسلما على فهيم )

عزيز : لقد جئنا ..

فهيم : مرحبا بالقمرين ...

حبيب : لقد أعجبتنا هدية النجاح شكرا لك يا أبي فهيم .

فهيم : العفو يا سيد حبيب , المهم أن تنجحا دوماً .

عزيز : وأين نصيبنا من سكر النبات ؟ ( يقوم فهيم ليناولهم سكر النبات )

فهيم : هاهو نصيبك , وهذا نصيب حبيب .

حبيب : وأين نصيب أمنا هنية ؟

فهيم : هاهاها ...يعجبني أنكما دوما لا تنسيان أمكما هنية , خذ يا سيدي , هذا نصيب أمك هنية .

\* \* \*

( جواسيس المغول في الصحراء متوجهون إلى مصر وهم كثيرون رجال ونساء يتحدث أحدهم لزميله . )

ميرزا : ها قد وصلنا مصر تقريبا ... ماذا سنفعل يا كيوك ؟

كيوك : إياك يا ميرزا أن أسمعك تناديني باسمي ثانية , علينا أن نتعامل بأسمائنا التي اختارها لنا مولانا هولاكو .

ميرزا : أنت اسمك السيد علاء , وأنا مبروك , وأنت أبو الفضل, وأنت خليفة , وأنتِ قيثارة , وأنتِ منيرة .

كيوك : ولكن ينبغي أن تكون بين الناس يا مبروك كما أمر هولاكو العظيم , فكيف يكون ذلك وأنت لهجتك المصرية غير سليمة ؟

ميرزا : بسيطة ,علي أن أدعي البلاهة والثأثأة واللثغ , ك ك ك ... كيف ... ح ح ح حالك ؟

( يضحكون جميعا من كلامه )

كيوك : على كل منا أن يتوجه إلى وجهته , فعليكم أنتم أن تتوجهوا إلى صعيد مصر, وأنتم إلى الشرقية , وأنتم إلى الغربية , وأنتم إلى الاسكندرية , أما نحن فنتوجه إلى القاهرة وسندخل على أننا تجار عرب , وهاتان الحلوتان سنبيع إحداهما للملك المنصور والأخرى لفرد من أفراد الشعب له أهمية .

ميرزا : لا تنسى اسم النخاس الذي سيتعامل معنا وينفذ خطتنا .

كيوك : لدي معلومات كاملة عنه , إنه زميلنا لا تقلق .

\* \* \*

( في السوق وبين الحوانيت نجد ميرزا أو مبروك كما سماه هولاكو , وقد علق على رقبته مجموعة من السبح الكبيرة ولبس ثيابا بالية وراح يتكلم كلام الدراويش بصوت عالي وكلام تغلب عليه الثأثأة واللثغ .)

مبروك : يا رب يا كريم , ارزقنا وأطعمنا واسقينا يا رب .

فهيم : خذ هذه . ( يعطيه صدقة )

مبروك : يأخذ عدوك وينصرك على من يعاديك .

فهيم : من أين أنت يا أخي ؟ لم أرك هنا من قبل .

مبروك : من بلاد الله التي هي لخلق الله , يا صاحب الملك يا كريم .

\* \* \*

في سوق آخر من أسواق القاهرة نخاس يبيع الإماء والعبيد يقترب منه أبوالفضل والسيد علاء ثم يقـــولا له :- كبيـــرنا يقرءوك الســــلام فيرد النخـاس قائلا:- وعليه الســــلام , أين البضــاعة فيرد

"أبو الفضل" :- هاتان الحلوتان فيقول النخاس :- سمعاً وطاعة , سأنفذ من الغد .

\* \* \*

في خان الحاج "أحمد عوف" دخل الجواسيس الثلاثة أبو الفضل والسيد علاء والسيد خليفة فتعرفوا على صاحب الخان وعرفوهم بأنفسهم كتجار عرب فأنزلهم الحاج أحمد في خانه ورحب بهم .

\* \* \*

( بعض عبيد قصر السلطان يوزعون الطعام على من بالسوق ومن بالشارع ... فيتقدم منهم فهيم يأخذ صحنا ويسأل أحد العبيد .)

فهيم : خيرا إن شاء الله هل هو نذر لمولانا السلطان المنصور؟ ( يقف مبروك يستمع )

العبد : لا , إن مولاتي "أم علي" أمرتنا بتوزيع هذه الحلوى على الناس جميعا .

فهيم : لماذا يا ترى ؟

العبد : لأنها تخلصت من مولاتي شجرة الدر وثأرت منها كما قتلت زوجها .

فهيم : آآآه ... ولهذا توزع الحلوى .

العبد : خذ صحنك ودعني أكمل عملي .

( يقترب الجيران الثلاثة فهيم وعلي وبطرس ثم يجلسون على الكراسي أمام دكاكينهم متقاربين , يأكلون الطعام السلطاني ويتحدثون , أما مبروك فقد أخذ صحنا يأكله بالقرب منهم ليستمع إلى ما يدور من كلام )

بطرس : يا الله ... إن طعمه لذيذ جداً ... ما ألذ الطعام السلطاني بالزبيب والمكسرات ... ترى مااسم هذا الطعام

علي : هل هذا هو كل ما يشغلك؟ سمه أم علي . ( يضحكان من كلامه )

فهيم : ما أسرع الأحداث من حولنا , لقد قتلت شجرة الدر السلطان أيبك , ثم تولى الحكم ابنه المنصور .

بطرس : لقد رأيته في الموكب الذي ركبه من القلعة إلى قبة النصر , إنه صبي صغير.

علي : ثم قتلت أم علي شجرة الدر.

بطرس : من قَتَلَ يقُتَلْ ولو بعد حين .

علي : وها نحن نأكل نذر أم علي .

فهيم : أرجو الله أن يوفق الملك المنصور , فهو حديث العهد و صغير السن .

علي : وهل تظن أنه هو الذي يحكم , لقد قال لك بطرس إنه صبي صغير , إن الحاكم الفعلي هو وزيره ووزير أبيه شرف الدين الفائزي .

\* \* \*

في غرفة الجواسيس بالخان جلس الجواسيس الثلاثة يدبرون ويتحاورون .

علاء : لقد طفت بالقاهرة اليوم ووجدت مصنعاً للزجاج مبنياً من الخشب يعمل به عددٌ لا بأس به من الرجال , فلو استطعنا إحراق المصنع بمن فيه .

أبو الفضل : علينا دراسة الموضوع . ولنبدأ من الغد

خليفة : ولكن ينبغي أن نتعامل مع الناس صبا ح غد ليكتمل التقرير الذي سنرسله لهولاكو.

علاء : علينا أن ننتهي من هذا الموضوع بأسرع وقت لكي نكمل مهمتنا .

\* \* \*

الوقت مبكر والحوانيت مغلقة وفهيم أتى مبكرا يسبح الله فإذا به يجد مبروك نائماً أمام دكانه .

فهيم : بسم الله الرحمن الرحيم ... أنت يا .... لقد نسيت اسمه .... آه مبروك ( يستيقظ مبروك )

فهيم : لماذا تنام هنا يا رجل , أليس لك مكان يؤويك ؟ ( يصل أحمد صبي فهيم )

أحمد : صباح الخير يا حاج فهيم .

فهيم : صباح الخير يا أحمد , انظر لهذا المسكين ليس له مأوى .

مبروك : الله المستعان .

فهيم : إسمع يا أحمد, عندما يأتوا الصبية خذهم إلى المخزن وهيئوا له غرفة لينام بها , وأبلغ زوجتي هنية أن تفرشها له .

مبروك : أسكنك الله في فسيح جناته .

\* \* \*

مخزن فهيم في نفس بيته بالدور الأرضي و العمال ينظفون حجرة بالمخزن لمبروك .

أحمد : احملوا هذه الأجولة وضعوها في الغرفة الأخرى .

مبروك : ربك هو الوهاب ... أطال الله بقاءك يا عم فهيم .

أحمد : كله من أجلك يا عم مبروك , ادعو الله لنا .

مبروك : أسأل الله أن ينجينا من شر قداقترب ... ينجينا من زمان العجب .

أحمد : زمان العجب !!!

مبروك : آآه من زمان العجب , فيه الحرب من غير سبب , وفيه الدم إلى الركب ... من الأزهر للحسين , وعد كُتِبْ .

أحمد : ماذا تقول ؟!!

مبروك : وعد كُتِبْ , وعد كُتِبْ .

\* \* \*

الجواسيس الثلاثة يطوفون حول الحوانيت ثم توقفوا أمام حانوت علي للأقمشة .

علي : أهلا وسهلا بالكرام , تفضلوا , هل تريدون أقمشة , ملاءات ,أو فوط .

خليفة : نعم , أريد عشر ملاءات وخمس فوط .

أبو الفضل : وأنا مثله, وأريد من هذا القماش المزركش .

علاء : أما أنا فأريد عشرين ملاءة , وعشرين فوطة .

( ينظر لهم علي مليا ثم يقول :)

علي : خذوا مني نصف البضاعة ومن بطرس النصف الآخر.

علاء : أليس لديك كل الكمية ؟

علي : بل عندي , ولكن هذه البيعة كبيرة , ونصفها يكفيني ويرضيني , أما بطرس فهو لم يبع شيئاً اليوم .

( ينظر الرجال إلى بعضهم بعضاً )

\* \* \*

حبيب وعزيز في فناء المدرسة يتحدثان مع بعض أصدقائهما .

حبيب : مادام زميلنا سعد لم يأت اليوم فيجب علينا أن نزوره في البيت , فمن منكم يعرف بيته

عزيز : قبل أن نذهب إلى سعيد ينبغي أن نمر على آبائنا في الدكاكين لنبلغهم غيابنا .

صديقهم : إذا نتقابل بعد إبلاغ آبائنا ونذهب معاً , فأنا أعرف بيته .

\* \* \*

الأطفال الثلاثة يزورون زميلهم سعد الذي لم يحضر المدرسة , فبيته متواضع , وإخوته يجرون هنا و هناك ويلقون بالأشياء هنا وهناك .

حبيب : خيرا يا سعد ما الذي أخرك عن المدرسة ؟

عزيز : هل أنت مريض ؟

زميلهم : دعوه يتكلم . ( يطرق سعد خجلا )

سعد : الحقيقة أنا لست مريضاً , ولكن أنتم تعلمون أن أمي كانت مريضة , وتوفيت منذ أشهر , وكلما طال الوقت ازددنا ارتباكاً , لقد نسيت أختي أن تغسل لي ثيابي بالأمس , فنقعتــــها وتركتها .

عزيز : لا بأس يا سعد , فأختك ما زالت صغيرة حاول أن تســــاعدها وأن تذكروا بعضكم بعضاً .

سعد : أنا سعيد لأنكم جئتم لزيارتي , سأمر بأبي أستأذنه ثم آتي معك أنقل الدروس .

حبيب : وأين يعمل أبوك ؟

سعد : إنه يعمل في مصنع الزجاج بجوار البيت . ( يقوم الأصدقاء ليذهبوا مع سعد )

\* \* \*

( الأصدقاء الأربعة في المصنع , يشاهدون ويراقبون العامل وهو يلتقط الزجاج المنصهر بعصا حديدية مفرغة والزجاج المنصهر كالعجين فينفخ في طرف العصا لتنتفخ قطعة الزجاج ثم يشكلها .)

سعد : هل نسيتم أنفسكم ؟ هيا نذهب إلى أبي .

حبيب : اعذرنا فهذه أول مرة نشاهد صناعة الزجاج .

عزيز : أجل , حبيب معه حق .

( يتوغلون داخل المصنع حيث يغلف الزجاج في أقفاص بها قش حتى لا ينكسر ... فيجدون أبا سعد يحمل قفصا مليئاً بالقش والزجاج فيبتسم لولده واصدقائه ثم يضع القفص جانباً ليكلمهم )

سعد : السلام عليك يا أبي .

أبو سعد : وعليك السلام يا سعد .

سعد : هؤلاء أصدقائي أتوا للسؤال عني لما تغيبت عن المدرسة .

أبو سعد : مرحباً بكم يا أحبائي .

سعد : هل تسمح لي يا أبي أن أذهب إلى بيت حبيب أنقل منه الدروس التي فاتتني .

أبو سعد : لا بأس , ولكن لا تتأخر.

سعد : شكرا لك يا أبي .

\* \* \*

سعد وحبيب وعزيز وصلوا إلى بيت هنية حيث كانت تتحدث مع إيفون وصباح .

هنية : السلام عليكَ , أهلا بك .

سعد : وعليكِ السلام .

عزيز : وضعت كتبي هنا , هاهي .

حبيب : وأنا سأشرح لك الدرس .

هنية : لماذا تأخرت عن المدرسة إذ لم تكن مريضاً . ( ينظر لها سعد ولم يجب )

هنية : لا تكن كسولا يا سعد . ( يبكي سعد )

صباح : وهل يبكي الرجال ؟

إيفون : لا تتكاسل مرة أخرى , هنية توجه نظرك ؟

حبيب : دعونا الآن سنذاكر على السطح ... ويجب أن يعلم الجميع أن سعد ليس كسولا .

هنية : لم أشأ أن أبكيك يا ولدي .

( يتركونها وينصرفون فيبدو الندم على وجه هنية )

\* \* \*

تدخل هنية السطح حيث حبيب وعزيز.

هنية : لقد رأيت صاحبكم من النافذة وهو ينصرف , ماله سريع الغضب .

حبيب : لأنك أحرجته , إنه مسكين ماتت أمه ولا يجد من يرعى شئونه وأخته تحاول أن تساعدهم

ولكن يبدو أنها ليست قادرة .

هنية : ياللطفل المسكين !, كل هذا الهم الكبير يحمله ! , وكم له من الإخوة والأخوات ؟

عزيز : هو وإخوته سته .

هنية : ياللصغيرة المسكينة , ستة أطفال والأب , يعني سبعة أفراد , كيف تخدمهم ؟

هنية : لابد أن نحاول مساعدتهم .

إيفون : ما الحكاية ؟

صباح : أشركينا معك .

\* \* \*

في بهو بيت هنية تحكي هنية لزوجها فهيم عن هؤلاء الأطفال المساكين وهي متأثرة جدا وفهيم يهدئ روعها .

فهيم : وما الذي يحزنك الآن ؟

هنية : كل ما حكيته لك عن هؤلاء الأطفال المساكين ولا تدري لماذا أنا حزينة ؟

فهيم : إن الحزن لا يحل مشكلة , وهي مشكلة كبيرة , كان يجب أن تجدي فكرة بدلا من هذا الكلام الذي لا فائدة منه

هنية : قالت إيفون وصباح : أنهما سيخبزان الفطير والشريك ويزورون هؤلاء الأطفال .

فهيم : يالها من فكرة جيدة , وعندما يجد الأطفال طعاماً جاهزاً يتفرغون لباقي شئونهم .

هنية : نعم , هذه العادة عند الموت , ولكن هؤلاء الأطفال يريدون حلا آخر .

فهيم : لا أفهم فيم تفكرين ؟

هنية : إنهم يريدون حلاً دائماً , لا ينبغي أن نذهب جميعا بمخبوزاتنا ثم ننقطع جميعا , بل كل منا تصنع مخبوزاتها في يوم وبعد عدة أيام تذهب واحدة أخرى .

فهيم : كلام معقول .

هنية : وسأجهز لهم في مرة طعام مطهي , ومرة أخرى مخبوزات وهكذا.

فهيم : أحسنت, أنا موافق .

\* \* \*

في غرفة الجواسيس بالخان يجلس الجواسيس الثلاثة أبو الفضل وعلاء وخليفة يتحدثون .

أبو الفضل : علينا أن نكتب تقريرنا الأول عن مصر لهولاكو.

(علاء يملي على أبي الفضل )

علاء : اكتب : - الشعب المصري شعب مترابط جداً , يحبون بعضهم بعضاً إلى درجة الإيثار , كلهم يعبدون الله , بعضهم مسلمون والآخرون مسيحيون , مازلنا نبحث عن الأهداف التي سندمرها , أما مهمتنا مع المصريين فهي صعبة جداً لما سلف ذكره من ترابطهم وتعاونهم .

خليفة : لقد اخترت مصنع الزجاج وعلينا أن ندبر للحريق بدقة .

أبو الفضل : ولهذا لا يجب أن نتعجل حتى لا نبوء بالفشل .

\* \* \*

فهيم في دكانه مع صبيه أحمد يحدثه .

أحمد : لقد نفد الزعفران والزبائن يسألون عنه فمتى سنشتريه ؟

فهيم : لم يصل الحاج سليم بعد , فأنا لا أشتري بضاعتي إلا منه .

أحمد : وإلى أين سافر ؟

فهيم : لقد أرسل لي رسولا من العراق وقال : إنه لن يتأخر.

أحمد : أتمنى أن يصل سريعاً .

فهيم : كان يجب أن يصل بالأمس ولكنه لم يأتِ … اذهب اسأل عنه يا أحمد .

( يدخل الحاج سليم الدكان ويسلم على من بالمكان )

سليم : السلام عليكم .

فهيم : وعليك السلام , غير معقول , يقولون إن إبن الحلال يظهر عند ذكره .

سليم : وها أنا قد أتيت . ( يعانقه فهيم )

فهيم : حمدا لله على سلامتك , افتقدناك كثيرا .

سليم : وأنتم أيضاً .

فهيم : وكيف بغداد وأهلها ؟

سليم : بخير .

أحمد : هل أحضرت لنا الزعفران يا حاج سليم ؟

سليم : الزعفران وكل ماتريد , ستصلك البضاعة بعد صلاة الظهر.

فهيم : المهم أنك حضرت فقد اشتقنا إليك… اشتقنا إلى حكاياتك , ستأتي اليوم تسهر عندي مع علي وبطرس .

سليم : في السطح كالمعتاد .

فهيم : سأنتظرك لا تتأخر.

\* \* \*

( هنية تحمل سلة بها طعام ومخبوزات على رأسها وتقف أمام باب بيت سعد ومعها حبيب وعزيز ,

فيدق عزيز الباب فيفتح لهم طفل صغير لا يتعدى عمره أربع سنوات , تدخل هنية وتضع السلة وتجلس على كنبة قريبة من الباب , أثناء ذلك سمعت جلبة بالداخل , ثم صوت صراخ طفل , فانزعجت وقامت تسأل عن الحكاية .)

هنية : ماذا هناك ؟ يا من بالدار؟

( تخرج فتاة في الثانية عشرة من عمرها , تحمل طفلة صغيرة لم تكمل الثانية من عمرها ورجلاها محمرتان وتصرخ من الألم )

هنية : ماذا هناك ؟

الفتاة : كنت أصنع الشاي وذهبت لأحضر السكر فسَحَبَتْ المفرش من على المنضدة فوقع عليها الشاي .

( تأخذ هنية الطفلة منها وتضعها في حجرها )

هنية : يا حبيبتي المسكينة , هاتها يا , ما اسمك يا حلوة ؟

حبيب : أنا حبيب صديق سعد وهذه أمي هنية .

الفتاة : مرحباً بكما , وأنا سعاد .

هنية : تعالي نغسل رجلها بالماء البارد أولاً .

سعاد : تفضلي .( بينما هما تدخلان يدخل سعد من باب البيت المفتوح )

سعد : مرحباً بكما .

حبيب : أهلا بك .

عزيز : جئنا مع أمنا هنية .

( تخرج هنية وهي تحمل الطفلة الصغيرة )

هنية : اذهب يا حبيب أنت وسعد لأبيك فهيم وهات من عنده وصفة للحرق .

( تجلس هنية على الكنبة )

هنية : هات لي مشطاً أمشطها . ( الطفلة مستسلمة لهنية )

\* \* \*

يجلس فهيم وعلي وبطرس على السطح يشربون الشاي . وبينما هم كذلك يدخل عليهم سليم فيحيونه ويرحبون به .

بطرس : حمدا لله على سلامتك … إفتقدناك يا رجل .

علي : هل تغيب عنا كثيرا لتعرف قدرك عندنا .

فهيم : وهل هو لا يعرف حتى الآن ؟

بطرس : ما أخبارك وأحوال العراق وأهله ؟

فهيم : متى ستسافر مرة أخرى ؟

سليم : لست أدري فالأخبار في العراق ليست طيبة ولا أدري كيف ستسير الأمور؟

فهيم : كيف ؟

سليم : يقولون إن المغول على الأبواب ؟

فهيم : هل تركتهم يستعدون للقتال ؟

سليم : يا ليتهم كانوا يفعلون , يقولون إن الوزير ابن العلقمي أشار على المستعصم بفصل أكثر الجند عن العمل .

على : يفعل ذلك في مثل هذا الوقت , لماذا ؟ وقد قال الله سبحانه وتعالى : ( وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ) صدق الله العظيم .

فهيم : هذا قرار غير عاقل وإن صدر عن المستعصم لقلنا إنه خليا من الرأي والتدبير … أما أن يشير عليه الوزير بذلك فهو أمر عجيب !!

بطرس : ولكن كيف عرفت كل هذا ؟

سليم : لي أصدقاء هناك لهم مراكز كبيرة بالقصر , ويبدوا أنه فاض بهم الكيل وراحوا يتكلمون خوفاً ويأساً .

على : كان الله في عونهم , إنه أمر يغيظ .

سليم : يبدو أنهم يطمعون في مصانعة المغول ويظنون أنهم سينالون ذلك بهذه الطريقة .

بطرس : المغول على ما نسمع عدو قوي , وإن أغروهم بتصفية الجيش لن يتركوهم .

سليم : هذا ما يخشاه الناس .

فهيم : الحق معهم , فما الذي يدعوا هولاكو لأن يتركهم إن كان يمكن أن يأخذهم ببساطة .

سليم : أرجو أن تأتي العواقب سليمة .

فهيم : نتمنى ذلك .

\* \* \*

الحارة مزينة بالأعلام والفوانيس ودكان فهيم مزدحم والناس يشترون التمر والمكسرات فهيم يتكلم مع أحد الزبائن وهو يدفع له النقود .

فهيم : ومتى ستكون الرؤية بإذن الله .

الزبون : الليلة بعد آذان العشاء , تعالَ معنا إلى المسجد لتعرف متى يكون رمضان .

\* \* \*

يدخل فهيم بيته فيجد هنية تنتظره وهي سعيدة وصوت الأطفال في الحارة يغنون أغاني رمضان .

هنية : كل عام وأنت بخير , غداً رمضان هل عرفت ذلك ؟

فهيم : طبعا أنا قادم من الجامع وقد ثبتت الرؤية .

هنية : هاهم الأطفال يغنون .

فهيم : على ذكر الأطفال , ماذا ستفعلين في رمضان لسعد واخوته ؟

هنية : سنرسل لهم جميعا أول يوم رمضان , ثم نقسم العمل كل يوم واحدة منا ترسل لهم , ولقد انظم لنا أناس كثيرة من الحارة .

فهيم : الحمد لله , هكذا اطمأنيت عليهم .

هنية : الحمد لله , هل ستسهر اليوم للسحور؟

فهيم : طبعا , تعالِ نرى الأطفال من النافذة وهم يغنون .

\* \* \*

الحارة مزينة بالأعلام والفوانيس , وقد اقترب موعد الإفطار , ونرى في الحارة موائد صغيرة (طبلية) رُصت بجوار بعضها البعض وعليها أنواع الطعام … وجلس رجال الحارة جميعا أمام الموائد بجوار بعضهم بعضاً والصبية ينقلون الصحون من البيوت ويضعوها على الموائد ونلاحظ أن بطرس يجلس بين الرجال وكذلك مبروك , يؤذن الآذان فينتظر الجميع حتى ينتهي المؤذن ثم يبدءون الطعام , يمر رجلا مسرعاً يريد أن يلحق ببيته للإفطار فيمسك به أهل الحارة .

فهيم : تعالى يا أخي , أقسمت عليك أن تفطر معنا أولاً ثم تكمل مع أولادك , تفضل .

\* \* \*

على السطح هنية وصباح وإيفون وحولهم البنات والأطفال الصغار يتناولون طعام الإفطار .

\* \* \*

صباح وهنية وإيفون ينظفون الخضروات في بيت صباح و باب البيت مفتوح , وبينما هن يتحدثن كان حبيب وعزيز يجريان هنا وهناك ثم يصعدان السلم وينزلان وهما يتسابقان وبينما هما بالطابق الثالث عند شقة صباح دخل مبروك شقة إيفون التي كان بابها مفتوحاً في الدور الثاني ثم دخل المطبخ فوجد قدراً مغطى فرفع الغطاء فوجده منقوع الكركديه فأخرج من جيبه السم ووضع في القدر الذي أمامه على المنضدة ثم تلفت حوله بسرعة وأغلق الإناء , ثم خرج مسرعا , فقابله حبيب وعزيز وهما يتسابقان , فاستوقفاه يسألانه .

حبيب : ماذا تفعل هنا ؟!!

مبروك : كنت أبحث عن السيدة أم جرجس .

عزيز : وماذا تريد منها ؟

مبروك : أنا صائم جائع , أريد أن أعرف منها هل ستصنع كنافة لذيذة كالتي صنعتها بالأمس ؟

( يضحك عزيز وحبيب على كلام مبروك )

حبيب : تريد أن تطمئن على مستقبلك الغذائي , إطمئن يا سيدي , ستأكل اليوم قطائف .

( مبروك يدعي الحزن )

مبروك : يعني هذا أنه لا كنافة اليوم ياللخسارة .

( يضحك الطفلان ثم يكملان سباق الجري ولكن داخل شقة إيفون حتى يصلا إلى المطبخ فيحاول حبيب الإمساك بعزيز , فيجرى منه حبيب وهاهما حول المنضدة التي تتوسط المطبخ وعليها منقوع الكركديه , ثم يمسك بها عزيز وهو يفلت من حبيب ويجري فتقع المنضدة فينسكب الكركديه على الأرض فيتوقف الولدان ينظركل منهما للآخر)

حبيب : انظر ماذا فعلت ؟

عزيز : لم أكن أقصد , لو علمت أمنا إيفون ستخاصمنا .

حبيب : علينا أن نصنع غيره في القدر وننظف المكان بسرعة قبل أن ينتبه لنا أحد .

( القدر انسكب كله ولكن بعض أوراق الكركديه مازالت فيه , يأخذ عزيز القدر ويضعه على المنضدة بعد أن أعادها حبيب لوضعها ثم أضاف المزيد من أوراق الكركديه ثم أضاف حبيب الماء ثم غطيا الإناء كما كان , ثم قاما بتنظيف الأرضية .

عزيز : مارأيك ؟

حبيب : كأن شيئا لم يكن . ( يضع كل منهما يده على الآخر ويخرجان من البيت )

\* \* \*

في غرفة الاستقبال جلس أبو وائل وأمه يستمعان للجد … أما وائل فقد كان غاضبا

الجد : وماالذي يغضبك إلى هذا الحد ؟

وائل : أنا غاضب من هذا الغشاش القاتل … كيف يعيش مع الناس ويعاشرهم فيكرموه ويؤووه ويطعموه ثم يقتلهم بالسم , لو أنه شهر السيف في وجوههم كان أفضل له ولكنه جبان .

الجد : أنا أتعجب منك يا وائل , فأنت تعلم من البداية أنه ما دخل مصر إلا ليقتل ويخرب .

وائل : معك حق , أكمل من فضلك .

\* \* \*

اليوم هو ثاني أيام رمضان والرجال جالسون ينتظرون الآذان على الموائد الصغيرة بالحارة , وأكواب الكركديه توزع على الحاضرين, يؤذن الأذان ويبدأ الجميع في تناول الطعام ويشربون مع طعامهم , نلاحظ وجود مبروك الذي يأكل معهم ولا يشرب .

\* \* \*

بعد صلاة العشاء كانت هنية ببيتها تعاني من مغص شديد وزوجها فهيم يعاني من الحالة نفسها فيطرق الباب فيتحامل فهيم على نفسه ويفتح الباب فيجد بطرس وقد أصابه ما أصابهم .

بطرس : مابك أنت الآخر ؟ لقد أصبنا جميعا بمغص , والصغار يتقيئون , جئت أسألك عن دواء من عطارتك .

فهيم : أنا لست أفهم السبب لأصف لك الدواء .

( بينما هما يتحدثان جاء علي وهو يتأوه ويتألم من المغص … ثم توافد بعض الرجال من الحارة للسبب نفسه… والجميع يشكومن الشكوى نفسها وكلهم يطلب دواءً من فهيم )

فهيم : في هذه الحالة لابد من استدعاء الطبيب .

\* \* \*

يدخل مبروك غرفته صامتاً , يجلس على سريره يحدث نفسه :- ترى ما الذي حدث ؟, إن هذا السم الذي وضعته هو سم زعاف يقتل في خلال ثواني , فما الذي حدث ؟( يتأمل زجاجة السم ثم يقول لنفسه ) :- لقد قال لي هولاكو أن أتعامل مع هذا السم بحذر , فنقطة واحدة منه تكفي لقتل قبيلة , وأنا لم أبخل عليهم به , فماذا حدث ؟؟!!

\* \* \*

في الحارة , الرجال مجتمعون بالحارة ينتظرون الطبيب الذي صعد أحد البيوت ليكشف على أهلها

ثم يظهر الطبيب مع رب البيت الذي فحصهم الطبيب , فيقول لهم :- يكفيني ما رأيته ,هذه حالات تسمم ولا بد من أخذ دواء تركيبي الآن .

علي : ومن أين جاءنا التسمم ؟

بطرس : إنه شيء عجيب .

فهيم : هل تريد شيئاً من العطارة فأنا عطار ودكاني هنا بالحارة .

الطبيب : حسنا , افتح الدكان لنركب الدواء بسرعة .

( ينصرف الطبيب مع فهيم الذي يفتح له الدكان )

\* \* \*

يجلس الجواسيس الثلاثة بغرفتهم بالخان يدرسون عملية حرق المصنع , ويضعون أمامهم خريطة للمصنع

أبو الفضل : هاهي الخريطة , العمال يدخلون من هذا الباب, ثم يترك الجميع البوابة ويبدءون عملهم من أمام الفرن هنا , ثم لا يعودون للمنطقة التي أمام البوابة إلا بعد الظهيرة حين ينتهون من ملئ الأقفاص بالمنتجات الزجاجية .

علاء : ماذا تريد أن تقول ؟

أبو الفضل : البوابة , البوابة مهملة في الصباح الباكر , فلو أننا أغلقنا البوابة من الخارج كما يفعلون ليلا وأشعلنا النار سيحترقون قبل أن ينقذهم أحد .

خليفة : لا بأس فلننفذ خطتنا من صباح غدٍ .

الجميع : اتفقنا .

\* \* \*

في بهو بيت هنية النساء ينامون من التعب هنا وهناك ومعهن الأطفال , تفيق هنية من النوم فتوقظ النساء وتطمئن عليهم ,

هنية : لقد نمنا من التعب بعد تناول الدواء .

إيفون : لقد كتب لنا الرب عمرا جديدا .

صباح : لقد زال المغص , ولكن أين الرجال ؟.

( تنظر هنية من المشربية فتجد الرجال مجتمعين بالحارة يسهرون على راحتهم , وقد زال الخطر عنهم جميعا )

هنية : لقد زال الخطر والحمد لله ,علينا أن نطمئن على باقي أهل الحارة وندعو الرجال للراحة بعد هذه الليلة الرهيبة .

\* \* \*

الجواسيس يطوفون حول المصنع والعمال يفدون إليه حتى وصل كل العمال واختفوا بالداخل فأغلق أبو الفضل الباب بالمغلاق الحديدي الذي كان بجوار الباب لهذا الغرض , وما أن أتم أبو الفضل مهمته حتى انطلق الجواسيس الأربعة يمشون بجوارالسور للجهه الأخرى من المصنع ثم صعد مبروك وتسلق لسقف المصنع ثم سكب سوائل على السطح الخشبي هذا والثلاثة جواسيس الباقون يتحدثون بصوت عال ليلفتوا النظر إليهم حتى يكمل مبروك عمله .

أبو الفضل : ما رأيك يا خليفة, نذهب لذلك اللبان في ميدان الحسين فإن لديه حليب ممتاز.

خليفة : في الصباح الباكر أفضل الشاي أو القهوة لأفيق , لا أريد الحليب الآن .

\* \* \*

في الجهة الأخرى من المصنع باب المصنع مغلق , مر عليه شاب من أهل الحارة متخلف عقليا يدعى هاني , فوجد الباب مغلقا ففتحه وهو ساخط على العمال لأنه يظن أنهم أغلقوه , ثم نادى العمال , فحضر بعضهم .

هاني : أنا سأخاصمكم جميعا ولن ألعب معكم أبداً .

أحدهم : لماذا يا هاني ؟

هاني : لأنكم لا تحبون هاني ولا تريدون أن يلعب معكم .

الرجل : لا تصدق هذا الكلام , نحن نحبك يا هاني .

هاني : ولماذا أغلقت الباب بالمغلاق ؟

الرجل : الباب مفتوح يا هاني . ( يبكي هاني متأثرا منهم )

الرجل : إنه مسكين فلتطيبوا خاطره .

أحد العمال : لقد جئنا نلعب معك يا هاني , هيا يا رجل لاتبكِ .

هاني : سنلعب قطار , هه .

الرجل : كيف ؟

هاني : امسك هاني من هنا وأنت امسكه وهيا نقول " توت توت " .( يضحك الرجال ويمسكون بعضهم ببعض و يقولون كما يقول هاني ويمسكون به فيأخذهم خارج المصنع )

\* \* \*

في الجهة الأخرى من المصنع أنهى مبروك مهمته ثم نزل بسرعة من على السطح , الوقت مبكر ولا يوجد مارة , يمسك مبروك بزجاجة أخرى مع خليفة ثم يلقي بها على السطح فتنكسر الزجاجة وينسكب ما بها من سائل فيمتزج بما ألقاه مبروك ويشتعل المزيج فيسرع الجواسيس خطاهم خارج الحارة , والنار تتأجج وتزداد , والسقف الخشبي يشتعل بسرعة .

\* \* \*

أبو سعد داخل المصنع يحمل قفصاً , ولما شعر بالحريق حاول الهرب فتعثر وسقط فارتطمت رأسه في الجدار فوقع مغشياً عليه والنار تشتعل بسرعة من حوله في القش الذي يشتعل بسرعة رهيبة

\* \* \*

فهيم والرجال مازالوا يقفون أمام البيت وقد نزل أحد الأطفال يطمئنه على أهل البيت ويدعونهم للراحة , وفي هذه الأثناء يلاحظ فهيم أن الناس تجري في اتجاه الحارة المجاورة فاستوقف أحدهم يسأله .

فهيم : ما الحكاية , ماذا يحدث ؟

الرجل : مصنع الزجاج في الحارة المجاورة احترق .

فهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله , أهكذا في الصباح الباكر.

( ينطلق فهيم وبطرس وعلي وباقي رجال الحارة ليساعدوا في إطفاء الحريق )

\* \* \*

يدخل فهيم بيته وهو حزين مطأطئ الرأس فتستقبله هنية .

هنية : لماذا تأخرت هكذا أنت لم تنم بالأمس , الحمد لله لقد لطف الله بنا .

فهيم : لقد احترق مصنع الزجاج بالحارة المجاورة .

هنية : ما الذي يحدث لنا ؟ تسمم وحريق في ليلة واحدة .

فهيم : حادث التسمم لطف الله فيه , أما الحريق فقد مات فيه المسكين أبو سعد .

هنية : سعد صديق عزيز وحبيب ؟

فهيم : هو بعينه .

هنية : ياللصغار المساكين , وماذا سنفعل الآن ؟

فهيم : لا يمكن أن يبقى الصغار وحدهم .

هنية : لا يمكن طبعا .

فهيم : أنا أفكر أن نأخذهم هنا , فالبيت واسع ونحن ميسورون والحمد لله , ولكن سيكون هذا عبءٌ ثقيلٌ عليك فهل ....؟

هنية : لا تكمل, فمن يرفض ثواب رعاية الأيتام ., أنا موافقة بالطبع .

فهيم : مادمنا متفقين , هيا بنا الآن .

هنية : ولكنك متعب ألن ترتاح .

فهيم : ولن أستطيع النوم إلا إذا أمنت هؤلاء الأطفال المساكين .

هنية : هيا بنا . ( ترتدي الطرحة والحذاء وتنطلق مع زوجها )

\* \* \*

في بيت سعد حضر فهيم مع زوجته ليقنعوا الأطفال بالإقامة عندهم فتجيبهم سعاد وهي تبكي

سعاد : يعلم الله كم أحبكم ولكن ....

سعد : أنا أشكر لك وقفتك معنا يا عمي وهذا جميل لن أنساه لك , ولكن العبء سيكون كبيراً عليك , إن أردت أن تساعدني خذني عندك لأعمل في الدكان لأتحمل مسؤلية إخوتي ( فهيم يحتضن سعدويقول له :) أنا موافق بشرطين , أولهما أن تأتي للإقامة عندي والثاني ألا تنقطع عن المذاكرة.

سعد : وكيف سأعمل إذاً ؟

فهيم : سندبر هذا الأمر.

سعاد : ولكن هذا البيت الصغير هو بيتنا ملكنا وبه ذكرياتنا مع أبي وأمي , كل شيء فيه يذكرني بهما . ( تحتضن هنية سعاد وتقول لها )

هنية : ومن قال لك إننا سنترك البيت تماما , نحن سنتركه على حاله وسنمر عليه من حين لآخر , ولن نغير شيئاً فيه.

فهيم : هل وافقتما على ذلك؟

سعد : مادمت سأعمل عندك فلا بأس .

سعاد : مادمت سآتي هنا من حين لآخر فلا بأس .

هنية : هيا بنا نحضر ثيابكم وأغراضكم .

\* \* \*

في بيت فهيم تدخل هنية وهي تحمل سلة كبيرة على رأسها وتجر أحد الأطفال وفهيم في يده صرة ملابس وسعد يحمل كتبه المدرسية .

هنية : مرحباً بكم في بيتكم الجديد .

سعاد : بيتك جميل يا خالتي هنية . ( يدخل مبروك خلفهم وعلى وجهه علامات الغيظ والقهر)

فهيم : مالك يا مبروك تنظر للأطفال هكذا ( يدعي مبروك البلاهة )

مبروك : هل سيأخذون غرفتي ؟

فهيم : لا تخف لن يأخذ أحدٌ غرفتك . ( ينصرف مبروك )

هنية : مسكين هذا الرجل .

\* \* \*

الجواسيس الأربعة في غرفتهم بالخان مغتاظون ويكادوا أن يموتوا غيظاً .

أبو الفضل : يفشل المخطط من أجل صبي متخلف عقليا .

مبروك : ولا يسفر الحادث إلا عن مقتل رجل عجوز كان سيموت اليوم أو غداً .

علاء : وما وصلنا من أن أحدهم تبنى أطفاله بهذه السرعة يغيظني .

مبروك : وماذا لو أنك ترى الذي أراه , إن هذا الرجل وزوجته يعاملونهم كما لو كانوا أولادهم أو أكثر .

علاء : وأهل الحارة يتنافسون في تقديم المساعدة لهم فبطرس تبرع لهم بملاءات جديدة , وعلى تبرع لهم بالفوط والأقمشة الجديدة , وتاجر آخر بالحارة المجاورة تبرع بأقمشة والخياطة تحيك لهم بنصف الأجر ... ليت أباهم لم يمت .

أبو الفضل : سيبدأ زملاؤنا في المحافظات ينفذون عملياتهم . فماذا نقول نحن لهولاكو؟

علاء : علينا أن نكتب تقريراً لهولاكو في أسرع وقت .

خليفة : الجارية التي بقصر الملك المنصور تقول إنه صغير السن لا يكاد يفقه حديثاً , أو يتخذ قراراً في أبسط الأمور .

علاء : أعتقد أن هذا هو الخبر الوحيد الذي يمكن أن يصل لهولاكو ويسعده .

\* \* \*

في السوق جلس بطرس وفهيم وعلي أمام دكاكينهم وقد اقترب بعضهم من بعض وهم يتكلمون بسعادة وود... أما مبروك فهو مغتاظ يبحث عن حيلة يوقع بها بين الأصدقاء , حتى وصل منادي ينادي في الناس بخبر مشئوم

المنادي : يا أهالي القاهرة , البقاء لله , مات الخليفة المستنصر بالله منصور , مقتولا بيد الطاغية هولاكو , يا أهالي القاهرة ( يكرر النداء)

فهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله , مات خليفة المسلمين , مات مقتولا .

علي : هذه نتيجة الإستهتار بالعدو , لماذا لم يجهز جيشه حتى وإن أراد مهادنة .

فهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله , لاحول ولا قوة إلا بالله ,

بطرس : كلنا سنموت , ولكن العراق الآن في يد هولاكو , بلا جيش أو عدة أو قوة , ماذا سيفعل بهم هذا الدموي .

فهيم : لا حول ولا قوة إلا بالله .

( تدمع عينا فهيم فيربت بطرس على كتفه , فيقوم فهيم من مجلسه حزيناً )

علي : فهيم ... فهيم ... إلى أين أنت ذاهب ؟

\* \* \*

في طنطا وأمام مخزن الغلال الجواسيس يحومون حول المخزن ثم يلقون بالزجاجة الحارقة ويسرعون بالفرار .

\* \* \*

بين الحوانيت رجل في حالة إعياء , ثيابه متسخة أشعث أغبر, يصيح في الناس بخبر موت الخليفة

الرجل : نهب العراق يا قوم , مات أهل العراق جميعاً .

( يسمع الناس صوت الرجل ولا يدرون إن كان ينقل خبرا أم يهزي حتى يراه فهيم فيعرفه)

فهيم : عبد التواب , ماذا دهاك ؟ ماذا جرى ؟ متى رجعت ؟

عبد التواب : قتلوا أهل العراق جميعا .

فهيم : ماذا تقول ؟ تعالى استرح لتقدر على الكلام . ( يجلسه فهيم ويسقيه )

فهيم : متى جئت من السفر ؟ لقد سبقك سليم , ولم مكثت هناك ؟

عبد التواب : لأرى مالا أحب ( يبكي عبد التواب فيربت على كتفه فهيم )

عبد التواب : قتل هولاكو أمير المؤمنين واستولى على بغداد وقتل كل أهلها , كلهم لم يترك أحداً و لم يرحم الشيخ ولا الصغير , لم يُبْقِ حتى الرضيع , أتعرف كيف مات أمير المؤمنين

فهيم : سمعت بموته .

عبد التواب : لفوه في بساط هو , وأهله , كل في بساط , ثم ألقوا بهم للخيول تدهسهم حتى الموت .

فهيم : لا أكاد أصدق, هل أنت تعي ما تقول أم تهذي .

( يتركه الرجل ويمشي ينادي على الناس )

عبد التواب : صدقوني يا أهل القاهرة , هولاكو قتل أمير المؤمنين , قتل أهل بغداد جميعا , قتل النساء والأطفال والشيوخ .

( مبروك لا يستطيع أن يخفي سعادته , ولا يلاحظه أحد إلا عزيز )

فهيم : لو صدق عبد التواب .

بطرس : تكون المصيبة كبيرة .

\* \* \*

( في طنطا النار تشتعل في مخزن الغلال والفلاحين متجمعين حول المخزن فيتقدم أحد الشباب وقد غطي جسمه بغطاء سميك ( لحاف ) واقتحم النار لينقذ أجولة الحبوب فتنادي عليه زوجته وهي خائفة )

الزوجة : ارجع يا عوض ... ارجع يا عوض .

( يدخل عوض وسط النار وينقذ جوالا ثم يعود مرة أخري فيتشجع الشباب ويحذون حذوه , كل غطى جسمه بغطاء واقتحم النار ليعود مسرعا بجوال من الغلة )

\* \* \*

الجواسيس الثلاثة بغرفتهم في الخان كادوا ينفجرون من الغيظ .

أبو الفضل : هذه المرة خططت بنفسي لقد قمت بواجبي على أكمل وجه , فيأتي هذا المجنون ليقتحم النار وينقذ ثلاثة أرباع المحصول هو والمجانين الذين تبعوه , كدنا نخرب البلد كلها لولا هذا المجنون

علاء : أنا لا أفهم هؤلاء الناس هل هم طيبون لدرجة البلاهة ؟ أم فدائيون يقتحمون النار ؟ أم متحابون يصعب قلبهم على بعض ؟

خليفة : هم كل هذا والبقية مازلنا لا نعرفها وكل ما حدث يدعونا للحذر .

أبو الفضل : لقد أطفئوا فرحتنا بانتصار هولاكو.

خليفة : نعم أنا أتفق معك في هذا.

\* \* \*

وائل مازال في غرفة المعيشة يجلس بجوار جده وأبيه وأمه يستمعان باهتمام , أما هو فيستوقف جده ويسأله

وائل : انتظر يا جدي لقد تزاحمت الأحداث مرة واحدة ... لقد قلنا إن الخليفة كان يعيش في بغداد ثم قتل , ثم انقضوا على بغداد , وقتلوا كل أهلها , هل هذا معقول ؟

الجد : لقد قتلوا كل من قابلوه من أهل بغداد , ولم يبق منهم أحد إلا من اختبأ .

وائل : إلى هذه الدرجة بلغت بهم الوحشية , والطريقة التي قتل بها الخليفة أيضا كانت في غاية الوحشية .

الجد : إنك لا تعرف كل شيء بعد , انتظر وسنرى ما يحدث .

\* \* \*

في طنطا أهل البلد سعداء بعوض يدعون له ويفخرون به .

العمدة : أنا وأهل البلد جميعا نشكرك على شجاعتك وإقدامك فلولاك لهلك المحصول .

عوض : أنا لم أفعل إلا الواجب .

شيخ البلد : أكرمك الله يا عوض , أنت رجل شجاع .

\* \* \*

في بهو بيت فهيم , هنية تجلس تبدل ملابس الصغيرة وتمشط شعرها بينما يدق الباب فتفتح هنية وهي تحمل الصغيرة فإذا بعوض أخي زوجها وزوجته وأولاده .

هنية : مرحبا بكم , أهلا وسهلا , يالها من مفاجأة سعيدة .

عوض : رحب الله بك يا زوجة أخي .

( يدخل الضيوف بينما تشير هنية إلى عزيز قائلة له )

هنية : اذهب يا عزيز نادي على أبوك فهيم من دكانه , قل له : أخوك وعائلته هنا .

\* \* \*

في دكان العطارة يجلس سليم مع فهيم يتحدثان .

سليم : لقد حدث حريق في قريتي بالصعيد كاد أن يذهب بالمحصول كله لولا أن أهل البلد تصدوا له واقتحموا النار وأنقذوا المحصول .

فهيم : وحريق المصنع هنا كان غريباً .

سليم : لقد نصحت أهل بلدتي وحذرتهم من تخزين قش الأرز فوق أسطح المنازل .

فهيم : وهل كان المحصول بالمنازل ؟

سليم : لا بل في مخزن للغلال , ولكن من المؤكد أنه كانت هناك أشياء قابلة للإشتعال , فالحرائق تندلع من أقل شرارة يمكن أن تنقلها الريح .

فهيم : المصنع هنا كان ممتلئ بالقش .

سليم : هذه هي المشكلة .

فهيم : ولكن الأشياء القابلة للإشتعال موجودة بكل مكان , ونستعملها دائما .

سليم : أسأل الله ان يسترنا , ويبعد عنا كل شر.

( يأتي عزيز ليخبر فهيماً بوصول أخيه )

عزيز : تعالى بسرعة لقد أتى أخوك توا , عمي عوض وأسرته عندكم بالبيت .

فهيم : عوض أخي ! إنها مفاجأة سارة .

\* \* \*

فهيم يدخل بيته ويعانق أخاه عوض ويندفع الأطفال ألى عمهم يقبلونه ويسلمون عليه .

هنية : لقد جاءوا لزيارتنا بعد أن نجاهم الله من حريق كبير كاد أن يأكل المحصول .

فهيم : صحيح هذا الكلام يا عوض ؟

عوض : نعم ونحمد الله أن نجانا وأنقذ معظم المحصول .

فهيم : عجبا , الحرائق وحوادث التسمم , مالذي يحدث لنا .

عوض : ما بك ؟

فهيم : أتساءل , لماذا كثرت حالات الحريق والتسمم هذه الأيام ؟ , وهل لها علاقة ببعضها ؟

\* \* \*

في السطح تجلس صباح وإيفون تنظفان الخضروات , فإذا بهنية تدخل لتنضم أليهما ومعها خضرواتها .

إيفون : ها هي هنية وصلت , لقد تأخرت اليوم .

هنية : الطفلة الصغيرة سهرتني بالأمس , فهي دائمة البكاء ليلاً .

صباح : إعطيها قبل النوم مغلي النعناع مع الكمون .

هنية : لقد نصحتني بذلك زوجة عوض , وقد تحسنت الطفلة بعد تناولها هذا الشراب فمنذ أن سافر عوض وعياله من إسبوع كنت أصنع لها هذا المشروب فتهدأ وتنام ولا تقوم في الليل , ولما نسيت أيقظنا المغص .

إيفون : لا تنسي لافالصغار دائما يحتاجون هذه المشروبات حتى يناموا ويرتاحوا .

\* \* \*

هنية تحضر القلة الموضوعة في المشربية فتجد فهيماً يغلق الدكان وبجواره علي وبطرس يربتان على كتفه ثم يصحب رجلاً آخر وينصرف مبتعدا عن الحارة .

هنية : خيراً , مالذي جعل فهيم يغلق الدكان؟. ولم لم يتركه لسالم ؟ وإلى أين ذهب ؟

سعد : لا تشغلي بالك , سأذهب لأستطلع الأمر.

هنية : اللهم اجعله خيراً .

\* \* \*

إيفون في بيتها تتحدث مع زوجها بطرس .

إيفون : ماذا تقول يا بطرس , مات عوض أخو فهيم !! لقد كان هنا منذ اسبوع .

بطرس : هذا ما حدث , فقد تسمم هو وزوجته بشراب به سم ولكن الله لطف بباقي المدعوين في الفرح وانسكب الشراب قدراً .

إيفون : أنا لا أفهم شيئاً , هو وزوجته ماتا , مساكين هؤلاء الأطفال .

بطرس : بل المسكين هو فهيم , فصدمة موت أخيه الشاب وزوجته ليست بالهينة , ومسؤلية أولاد أخيه ليست سهلة .

إيفون : لست أفهم ما هو السر في موضوع الحرائق وحالات التسمم التي لا نجد لها سبباً واحداً .

\* \* \*

في بيت فهيم فؤاد أكبر أبناء أخيه يبكي , وهنية تربت على كتفه , وتنساب دموعها هي الأخرى , وفهيم جالس على الكنبة مذهولاً يقف بجواره عزيز وحبيب وسعد , ينظرون إليه بشفقة ولا يملكون له شيئا, تلعب ابنة أخيه عند قدميه , فهي صغيرة جداً لا تعي الأحداث , ثم تجلس في حجر عمها فيضمها فهيم ويبكي, يربت الأطفال على كتف فهيم وتدمع عيونهم جميعا , أما هنية فتقوم لتدبر شئون الصغار جميعا و لتهرب بدموعها بعيداً .

\* \* \*

على السطح وقت الغروب يجلس فهيم ومعه بطرس وعلي وعبد التواب الذي نعى الخليفة وهاهما علي وبطرس يحدثون فهيماً .

بطرس : كما قلت لك ينبغي أن تتماسك حتى لا ينهار الأطفال .

علي : لا تترك نفسك للحزن هكذا يافهيم , إنها إرادة الله ومشيئته .

بطرس : هيا يا علي نغلق الدكاكين لنجلس معه .

( ينصرف الصديقان ويبقى عبد التواب الذي لا يقل حزنا عن فهيم , يركن فهيم رأسه إلى الحائط بجوارعبد التواب الذي يركن رأسه أيضا للحائط ويتكلم كل منهم عن أحزانه وكأن كل منهما لايسمع ما يقوله الآخر )

فهيم : كان عوض هو كل أهلي .

عبد التواب : كل أصدقائي في بغداد ماتوا, لم يبق منهم أحد , لم يبق أحد .

فهيم : مات مسموما بعد أن نجاه الله من الحريق .

عبد التواب : خدعوا أمير المؤمنين , رأيت الخدعة بنفسي , رأيتها بعيني .

فهيم : مساكين الأطفال لم يبق لهم أحد في الدنيا , وأنا أيضا لم يعد لي سواهم .

عبد التواب : لقد خانه الوزير ابن العلقمي , خانه ابن العلقمي .

فهيم : هل سيتعود الصغار على هنية ؟

عبد التواب : اخترع له قصة زواج وهمية وساقه إلى الموت وتركه , لعنة الله عليك يا ابن العلقمي.

فهيم : كيف يُدَس السم في طعامنا جميعا دون أن ندري؟

\* \* \*

علي وبطرس يصطحبون فهيماً إلى باب الدكان وخلفهم يمشي عبد التواب , يفتح بطرس وعلي باب الدكان ثم يصطحبون فهيماً للداخل ويجلسونه ثم يتحدثون معه .

علي : لقد عز علينا جميعا فراق عوض أخيك , ولكن ينبغي أن تنسى أحزانك لترعى شئون صغارك .

بطرس : سعد وإخوته الذين تبنيتهم وأولاد أخيك , إنهم أحد عشر صغيرا يحتاجون لأب يحميهم

علي : نعم , أنا أوافق على كل الذي قاله بطرس وأكرر , ينبغي أن تهتم بصغارك .

عبد التواب : نعم ينبغي أن نفيق من أحزاننا ونفتح عيوننا وعقولنا لنراهم .

علي : من تقصد ؟

عبد التواب : الذين يتربصون بنا , الذين يريدون هلاكنا , إما أن نحيا بكرامتنا وندفع الشر عن أولادنا وديارنا وأراضينا , وإما أن نموت بكرامتنا .

بطرس : مالك يا عبد التواب لا ترى من الدنيا إلا المغول والسياسة ؟

عبد التواب : نعم , أرى هولاكو في كل مكان هنا وهناك , وإما أن يفعل بنا كما فعل بإخواني في العراق وإما أن نتصدى له .

علي : لا تبالغ كثيرا .

عبد التواب : لا تستهن بالأحداث كما فعل الذين من قبلك , اليوم سأقابلكم في السطح , لقد قررت أن أترك الحزن لا بد أن أخبركم بكل ما أعلم لنرى ما يمكننا عمله .

علي : على الرحب والسعة .

\* \* \*

في الليل كان فهيم وبطرس وعلي وعبد التواب مجتمعين , وكان عزيز وحبيب وسعد وفؤاد يجلسون بالقرب من عمهم فهيم الذي تعلقوا به كثيراً .

عبد التواب : لقد جئت اليوم أحذركم من شر قد اقترب , واعلموا أن المغول ليسوا بالجيش القوي فقط بل هم أهل مكر ودهاء , واعلموا أننا مستهدفون إن لم يكن الآن فبعد قليل .

علي : هل تظن أنهم قادمون ؟

عبد التواب : بل أنا متأكد من ذلك , ويجب أن تعلموا أن مكرهم ودسائسهم تسبقهم دائما .

بطرس : كيف ؟

عبد التواب : سأحكي لكم ما أعرفه , ويمكنكم أن تقيسوا عليه .

فهيم : هات ما عندك .

عبد التواب : حينما كنت في بغداد سمعت أن هولاكو سيزوج ابنته من ابن الخليفة أمير المؤمنين وأن الوزير ابن العلقمي أشار على أمير المؤمنين بأن يقبل لأن في ذلك حقن لدماء المؤمنين .

علي : وهل رفض ؟

عبد التواب : على العكس , لقد وافق ورحب وخرج لإستقبال هولاكو, أما أنا فقد كنت فضولياً فذهبت إلى المكان الذي اتفقا أن يتقابلا فيه واختبأت لأرى هل سيتم الزواج فعلاً كما يقول الناس أم أنها خدعة كما كنت أتوقع ؟

بطرس : وماذا رأيت ؟

عبد التواب : ياليتني مارأيت شيئا , كان المكان بالخلاء حيث نُصِبَتْ خيمة كبيرة فخمة واختبأت أنا بالقرب من المكان خلف صخرة كبيرة ولما حضر الخليفة وحواشيه وجمع من الأعيان وأقاربه وطبعا كان ابنه في المقدمة .

فهيم : وماذا حدث ؟

عبد التواب : لما وصلوا لم يجدوا هولاكو ولكنهم ساقوهم إلى تلك الخيمة لينتظروه أما الوزير فتركهم وانصرف ثم قُتِلُوا جميعا بعد أن غادر الوزير.

بطرس : ولماذا انصرف الوزير أولاً , ثم قُتِلُوا بهذه الطريقة البشعة ؟

عبد التواب : كل شئ يدل على أن الوزير كان يعمل مع هولاكو في الخفاء .

علي : ياله من خائن , لقد باع بلده وأهله .

عبد التواب : أنا متتبع أخباره , لقد أبقى هولاكو على حياته ولكنه ذاق من المغول الذل والهوان ولم تطل أيامه , مات من الحسرة والندم .

فهيم : إنه غبي و مثال لكل خائن .

بطرس : وهذا يدل على ذكاء هولاكو فمن يبيع أهله فهو خائن ليس له أمان .

عبد التواب : ولكن ما حدث في بغداد لم يحدث فجأة , فقد كان يتعاون مع ابن العلقمي كما ثبت لنا ومن المؤكد كان له عيون هناك , ومن الضروري أن يكون له عيون هنا وفي الشام .

بطرس : هذا كلام سليم , حقا ما تقول .

عبد التواب : لقد بلغني أمس أن مخزن غلال في المنوفية قد احترق ولم يستطع الناس أن ينقذوا منه إلا قليلاً , مما سيؤثر على سعر أقوات المصريين , والحريق الذي أخمده عوض أخيك رحمه الله , وحريق الصعيد وحريق مصنع الزجاج , وحالات التسمم كل هذا يثير الشكوك في نفسي .

( ينظر الأطفال الأربعة بعضهم إلى بعض ثم يرحلون من المكان )

\* \* \*

تجلس هنية تطوي الملابس وترتبها للصغار ثم تقوم لتضعها في مكانها فتشعر بدوار , فتجلس من شدة الدوار ثم تعاود المحاولة لتقع مغشيا عليها فتنزعج سعاد .

سعاد : أمي هنية , ردي علي . ( تتركها سعاد وتجري تنادي على جاراتها)

سعاد : خالتي صباح , خالتي إيفون .

( يلتف الأطفال حول هنية يحاولون إفاقتها )

\* \* \*

أم ابراهيم الداية وصباح وإيفون في غرفة نوم هنية يطمئننن عليها أما هنية فممدة على السرير ويبدو عليها الإعياء .

أم ابراهيم : كما قلت لك هذه أعراض حمل .

هنية : هل أنت متأكدة يا خالة أم ابراهيم .

أم ابراهيم : طبعا متأكدة .

إيفون : لو لم تكن الظروف سيئة لأطلقت زغرودة .

هنية : إياك أن تفعلي , فيكفينا ما نحن فيه من حزن .

صباح : لعل الله أراد لكم أن تخرجوا من الحزن يا هنية , جعله الله قدم الخير والسعد علينا جميعا .

\* \* \*

الأصدقاء الأربعة حبيب وعزيز وسعد وفؤاد يجتمعون في بيت بطرس وحدهم .

فؤاد : هل سمعتم ما قاله عمي عبد التواب ؟ هل تفكرون فيما أفكر فيه؟

سعد : نعم هذا يعني أن المغول يعبثون هنا , وأنهم سبب حريق المصع والمخزن .

حبيب : ولا تنسى التسمم الذي كدنا نصاب به والتسمم الذي أودي بحياة عمي عوض وزوجته رحمهما الله .

عزيز : هذا يعني أنهم حولنا ومندسون بيننا.

فؤاد : لذلك يجب أن نفتح عيوننا وعقولنا لكل كبيرة وصغيرة .

\* \* \*

يدخل فهيم بهو البيت فيستقبله الصغار الذين يبشرونه بحمل زوجته .

الأطفال : أمي هنية حامل , أم ابراهيم كانت هنا .

فهيم : ماذا تقولون , الآن !!...غير معقول , هذه حكمتك يا رب .

\* \* \*

أسدل الليل ستائره السوداء فلا نكاد نتبين أي شئ , نسمع صوت طفل صغير يبكي من الألم , صوته يبدد سكون الليل فتفتح الأنوار ونرى بهية تخرج بالطفلة الصغيرة أخت سعد لبهو البيت تحاول أن تهدئها ويخرج خلفها فهيم ثم يصحو الأطفال الواحد تلو الآخر .

بهية : البنت مصابة بمغص, سأغلي لها كمون مع نعناع .

( تعطي بهية الطفلة لفهيم ثم تدخل لتصنع مشروباً للطفلة المريضة )

بهية : خذها قليلاً إلى أن أصنع لها المشروب .

( يأخذها فهيم ويربت على كتفها وهي تبكي ويجلس بجواره سعد وفؤاد , وبعد قليل ترجع بهية من الداخل )

بهية : لقد نفد الكمون الغير مطحون والذي يصلح للغلي , هلا أحضرت لي قليلا منه من المخزن .

( يعطيها فهيم الطفلة ثم يحضر المفتاح ويفتح الباب لينزل فيتبعه سعد وفؤاد , أما هنية فهي تمسك الطفلة بحنان وتربت على كتفها والطفلة ما زالت تبكي )

\* \* \*

( يفتح فهيم باب المخزن وفي يده فانوس يضيء له المكان وإلى جواره فؤاد وسعد وما أن فتح الباب حتى انطلقت قطة صغيرة داخل المخزن )

سعد : لا بأس سأخرجها من المخزن أنا وفؤاد .

( يدخل فهيم يحضر الكمون ويصعد ويترك الطفلين ليخرجا القطة ويغلقا الباب , يجري سعد خلف القطة فتجري بدورها منه , ثم تصعد فوق الأجولة المتراصة فوق بعضها والتي يصل ارتفاعها إلى شُرَّاعَة الباب الذي يسكن خلفه مبروك فيصعد فؤاد خلفها , ولكنها أفلتت منه وكانت شُرَّاعَة الباب الزجاجية مكسور منها جزء صغير , فلفت نظر فؤاد نار متأججة لمحها داخل غرفة مبروك , فنظر من الجزء المكسورفيقول سعد :- هاهي القطة, فيشير إليه فؤاد أن يصمت ثم يدعوه لينظر معه من هذا الجزء المكسور , ينظر الولدان فيجدا مبروكاً قد أشعل ناراً في إناءٍ غريب وهو في وضع سجود ثم رفع رأسه من وضع السجود ثم أخذ يتكلم بلغة غريبة ولكن الملاحظ أن طريقة كلامه كانت سليمة بلا تلعثم أو ثأثأة أو لثغ .

\* \* \*

( في بيت فهيم .. الطفلة الصغيرة هدأت وبدأت تستسلم للنوم واستكانت في حضن هنية فقامت تضعها في فراشها , دخل سعد وفؤاد وهم في حالة من ذهول لما حدث , أخذ فهيم المفتاح ثم هم بالدخول غرفته لينام فاستوقفه الأطفال ليكلموه ) .

فؤاد : عمي فهيم نريدك في أمر مهم .

فهيم : خيراً ألا تنتظرا الصباح ؟

سعد : لا بل الآن . ( يتوجس فهيم من لهجتهما )

فهيم : خيراً , ما الذي حدث ؟.

فؤاد : سنحكي لك عن ما رأيناه اليوم بالمخزن .

فهيم : سنحكي لك بشرط أن تعدنا بأن تفكر جيداً قبل أن تتصرف .

فؤاد : بين يديك أن تأخذ بثار أبي , وأبي سعد , وأهل بغداد جميعاً .

سعد : والأهم أن تمنع الشر عن مصر ( ينظرإليهما فهيم نظرة غريبة متعجباً)

فهيم : أنا لا أفهم شيئا !!.

سعد : سنحكي لك وستفهم .

فؤاد : المهم أن نتصرف بحكمة , لانريدهم أن يهربون .

( يتكلم الأطفال بغضب )

\* \* \*

اليوم الجمعة والوقت الظهيرة وصوت قراءة القرآن يملأ المكان , فهيم على باب شقة بطرس يدق الباب فيفتح جورج .

فهيم : كيف حالك يا جورج ؟

جورج : بخير يا عمي , تفضل .

فهيم : أريد أباك ( يحضر بطرس عندما سمع صوت فهيم وينصرف جورج )

بطرس : تفضل يا أخي .

فهيم : ليس لدي وقت إنه موعد الصلاة ,اسمع يا بطرس سأنتظرك بعد الصلاة في بيت عبد التواب.

بطرس : إنه يأتي دائما إلى هنا ليلاً فلماذا... ؟

فهيم : ششش إخفض صوتك , ولا تقل لأحد من أهل البيت , ولا تسأل كثيراً, عندما تأتي ستفهم

( يكمل فهيم عبارته وهو يبتعد بينما بطرس متعجب ثم يعلو صوت المؤذن بالأذان )

\* \* \*

وصل فهيم إلى الجامع ثم وقف ينتظر على باب الجامع إلى أن وصل على فانحنى فهيم ليخلع حذاءه ويحدث علي بصوت منخفض .

فهيم : سنجتمع عند عبد التواب بعد الصلاة .

علي : لماذا ال .... ؟

فهيم : ششش اخفض صوتك ونفذ ما أقوله لك .

( ينظر له علي باستغراب بينما فهيم يدخل الجامع وينتظر بجوار الباب من الداخل إلى أن يأتي عبد التواب فيحدثه بصوت منخفض )

فهيم : مرحبا عبد التواب , سنجتمع عندك بعد الصلاة .

عبد التواب : على الرحب و

فهيم : ششش.. اخفض صوتك وأبلغ سليماً ( يدخل فهيم الجامع ويجلس بين المصلين ) .

\* \* \*

اجتمع الأصدقاء في بيت عبد التواب وهم حائرون لا يدرون سبب تصرفات فهيم الغريبة .

علي : خيراُ يا فهيم , ماذاحدث ؟

فهيم : جمعتكم اليوم لأمرٍ خطير , ولقد اخترت بيت عبد التواب لأنه يعيش وحده بعد موت زوجته وزواج ابنه .

بطرس : ماسبب هذه السرية العجيبة .. ؟

سليم : ماذا حدث ؟

فهيم : إنهم المغول , لقد كنا معاً بالليلة الماضية وكنا نتكلم عن المغول أمام الصغار , وفي الليل حدث ما أكد لنا وجودهم بيننا وعرفت أحدهم .

الجميع : من ؟

فهيم : مبروك .

الجميع : غير معقول !!!!!

\* \* \*

الأطفال الأربعة مجتمعون على السطح وحدهم يجلسون تحت التكعيبة . حبيب وعزيز وفؤاد وسعد.

فؤاد : هذا هو الأمر الذي اكتشفناه ولأنني أثق بكما قد حكيت لكما لكي نتتبع جميعا هذا الرجل ونعرف من أعوانه .

حبيب : لقد لاحظت أنه كان سعيداً وقت أن سمع خبر نعي الخليفة وانتصار هولاكو على العراقيين

عزيز : انتظر , ألا تذكر يا حبيب يوم أن رأيناه يخرج من بيت أمنا إيفون .

حبيب : نعم أذكر , لقد ادعى أنه يسأل عن الكنافة , نعم الكركديه , هو الذي دس السم في الكركديه , ولولا أنه وقع على الأرض لمتنا جميعا .

عزيز : بعد ما عرفته لا أطيق أن أرى هذا الخائن .

سعيد : لا , لانريد أي انفعال , علينا أن نتحلى بالصبر لنصل إلى أعوانه .

عزيز : من البداية لم أشك فيه لأنه أبله .

فؤاد : هو ليس أبلهاً ولا نحن بلهاء .

\* \* \*

مازال الرجال مجتمعين عند عبد التواب .

فهيم : هذا ما عرفته أضعه بين أيديكم فما رأيكم؟

عبد التواب : احذر أن يشعر أنك تفهمه , حاول أن تتجاهله ولا تجعله يغيب عن نظرك .

سليم : علينا أن نراقبه , ولكن دون أن يشعر .

بطرس : أتعجب من كل ما يحدث , ولكنه أمر خطير .

عبد التواب : وصلني أن هولاكو يستولي على البلد تلو الآخر وأنه على وشك أن يدخل حلباً .

سليم : لو دخل الشام فلن يبقى أمامه إلا مصر , ولابد من صده قبل دخوله هنا .

فهيم : يلزمنا المال والرجال والقيادة الراشدة .

علي : علينا أن نمسك بالجواسيس أولا ثم يفعل الله ما يشاء .

\* \* \*

يجتمع علي وفهيم وبطرس وسليم وعبد التواب على السطح و يتكلمون بصوت منخفض والأطفال الأربعة يشاركونهم الجلسة .

سليم : بلغني أن الأمير بيبرس البندقداري قدم من الشام بعد أن استولى هولاكو على حلب والشام , وانضم لجيش مصر.

فهيم : لم يعد هناك وقت ينبغي أن نتحرك تجاه الهدف بسرعة .

بطرس : نعم فالوقت ليس في صالحنا .

\* \* \*

مبروك يذهب ويجئ في الحارة يتكلم بعبارات تثير الخوف والفزع في نفوس الناس , والأطفال الأربعة يتظاهرون باللعب .

مبروك : آآه من زمان العجب , فيه الحرب من غير سبب , وفيه الدم إلى الركب ... من الأزهر إلى الحسين وعد كُتِبْ .

( يمشي مبروك وهو يردد هذه العبارة ويخرج من الحارة )

سعد : تعالوا نلعب في حارتنا

( ينطلق الأطفال خلف مبروك يقذفون طوبة بين بعضهم بعضاً وهم يمشون ويحدثون جلبة )

\* \* \*

وقف مبروك يقول نفس العبارة على باب الخان فخرج أعوانه الثلاثة بعد قليل ... يمشي مبروك ويمشي خلفه الجواسيس والأطفال يتظاهرون باللعب بطوبة صغيرة يقذفونها بين بعضهم بعضاً ويحدثون جلبة

مبروك : آآه من زمان العجب , فيه الحرب من غير سبب , وفيه الدم إلى الركب ... من الأزهر إلى الحمام وعد كُتِبْ .

ينظر الأطفال إلى بعضهم بعضاً, ويقذفون الطوبة بين أرجلهم ويراقبون , فإذا بمبروك ينصرف في تجاه والجواسيس في تجاه آخر فينطلق عزيز خلف مبروك وينطلق الباقون خلف الجواسيس الباقين .

\* \* \*

عاد مبروك إلى الحارة وكان خلفه عزيز , دخل مبروك غرفته , ثم دخل عزيز دكان فهيم فسأله فهيم عما حدث بصوت منخفض , وبدأ عزيز يكلمه ويحكي له كل ما رآه وسمعه .

\* \* \*

وصل الجواسيس الثلاثة إلى باب الحمام والأطفال الثلاثة خلفهم ثم رسموا رسماً على الأرض وتظاهروا باللعب عليها وظلوا يقفزون فوق هذا التقسيم ( لعبة الأولى ) .. وبعد قليل وصل فهيم الذي فهم من عبارة مبروك أنه يدعو جماعته للذهاب إلى الحمام ثم أخرج حافظة نقوده وأخذ يعد نقوده ثم تظاهر بأنه فقد شيئاً وظل يبحث عنه , خرجت جارية من باب الحمام ترتدي حبرة سوداء

نظرت إليهم وتظاهرت بأنها ستقع وأوقعت منديل به شيء , وتركته وانصرفت مسرعة فالتقط أحدهم المنديل وانصرف وبقي واحد, ثم انطلق فهيم خلف الفتاة يمشي خلفها ويتكلم معها من بعيد وبصوت منخفض .

فهيم : ياللجمال , ليتني أعرف أين أبوك لأخطبك الآن ؟ ألن ترحمي قلبي وتدلينني عليه ؟

( تبتسم الفتاة وتستمر في المشي ويستمر خلفها فهيم ).

\* \* \*

مازال الأطفال الثلاثة يلعبون في الشارع أمام الحمام ومازال أحد الجواسيس يتمشى حول الحمام إلى أن خرجت جارية أخرى ترتدي الحبرة أيضاً , تمشي الجارية خطوتين ثم تسقط منديلا حريرياً ملفوفاً , يلتقط الرجل المنديل وينصرف فيمشي الأطفال خلف الفتاة وهم يتظاهرون باللعب بالطوبة كالكرة الصغيرة يقذفونها بين أرجلهم .

\* \* \*

في غرفة الأولاد ببيت فهيم يتحدث فهيم مع الأطفال الأربعة وقد أغلقوا عليهم الباب .

فهيم : من الجملة التي قالها مبروك فهمت أنهم ذهبوا إلى الحمام .

عزيز : وإلى أين وصلت هذه السيدة التي تبعتها ؟

فهيم : ذهبت لبيت الأديب الشاعر سيف الدين أبي الحسن .

حبيب : ترى هل هي جاريته ؟

فهيم : هذا مؤكد , فالأمير سيف الدين ليس مجرد شاعر , إنه يعمل في شد الدواوين ويلازم الوزير باستمرار .

فؤاد : ماذا يعني شد الدواوين ؟

فهيم : إنه رفيق الوزير والمسئول عن دواوين المالية بالدولة , وأنتم , أين ذهبت الجارية التي تبعتموها ؟

عزيز : قصر الملك المنصور.

فهيم : شيء عظيم , لهم عين عند الملك المنصور وعين عند الأمير سيف الدين وعين عندنا في الحارة , وأيديهم المنفذة بالخان

حبيب : لا بد أن نقبض عليهم بسرعة .

فهيم : سأجتمع بالرجال لنعرف إلى من نتكلم , وإلى من ننضم , أخشى ألا يقدر المنصور خطورة الموقف .

( تفتح هنية باب الغرفة لتستطلع الأمر )

هنية : مالكم تجلسون وحدكم ؟

فهيم : لقد جعنا فقلنا : نأتي لنأكل ولكن يبدوا أن الطعام لم ينتهِ بعد .

هنية : من الذي قال لك ذلك ؟ الطعام جاهزسأعده لكم خلال دقائق .

\* \* \*

يجتمع الرجال عند عبد التواب وقد استمعوا لأخبار فهيم الجديدة .

عبد التواب : لقد وصلنا إليهم وينبغي أن نتحرك بسرعة .

سليم : لقد جئت لأقول لكم أخبار مهمة حدثت اليوم , بعد انضمام بيبرس إلى قطز , جاءنا طلب من هولاكو باستسلام مصر , وقد انتخب كبار البلد قطزاً لأنهم يرونه الأفضل والأقدر على خوض هذه المعركة المنتظرة .

بطرس : وماذا فعل مع الملك المنصور ؟

سليم : لقد حدد إقامته في قصره مع والدته . ( يقف فهيم قائلا )

فهيم : إذا فالحديث يكون مع قطز .

فهيم : هيا بنا يا رجال .

علي : الآن ؟

فهيم : نعم وبلا أي تأخير .

\* \* \*

في بيت الأمير قطز الرجال يتكلمون معه بحماس وقد قصوا عليه قصة الجواسيس فقال لهم :-

قطز : لقد فهمتكم , ولا تخشوا أمر الجواسيس , فمادمنا نعرف مكانهم فسنقبض عليهم في التو , أما رغبتكم في الانضمام إلى المحاربين فيلزمكم تدريب تحت قيادة بيبرس , عليكم بجمع المتطوعين وعلينا الباقي .

\* \* \*

وائل مازال يستمع إلى جده كما ينصت والداه باهتمام .

وائل : انتظر يا جدي لقد اسرعت بالحديث ولم تقل لي كيف أُبْعِدَ الملك المنصور؟

الجد : لقد وصل إلى مصر "كمال الدين عمر بن العديم" رسولاً من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب والشام , فأنزله قطز بالكبش فجمع القضاة والفقهاء والأعيان لمشاورتهم في أمرِ المغول وحضر هذا الإجتماع الملك المنصور.

وائل : حسنا , وماذا بعد ؟

الجد : كانوا يتحدثون عن المغول, وقد قال الشيخ "عز الدين بن عبد السلام" : إنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينوا به على جهادكم بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء , وتبيعون ما لكم من الحوائص المذهبة والآلات النفيسة ويقتصر كل جندي على مركوبه .

وائل : انتظر يا جدي , لاتسترسل , مامعنى كلمة حوائص ؟

الجد : إنها أداة كان يلعب بها الأمراء الكرة وهم يركبون الخيل , وخلاصة القول أن يبدأ الملك والأمراء بالتخلي عن الترف ويبدئوا بالتبرع وينفقوا كل مافي بيت المال ثم يفتحوا باب التبرع لعامة الناس .

وائل : مطالب عادلة , وما رأي المنصور ؟

الجد : إنه لم يشارك بالرأي أبدا فهو صغير السن لا يكاد يفهم مثل هذه الأمور .

وائل : إنه أمر خطير.

الجد: لقد طالب الناس بخلع المنصور وتولية قطز.

وائل : كان الشعب يقظاً .

الجد : وكان الموقف دقيقاً , ولكن كل هذا لم يستغرق وقتا , وهذا لخطورة الموقف .

وائل : وهكذا بدأ عهد قطز.

\* \* \*

العساكر يسوقون الجواسيس جميعا والناس يهللون ويكبرون ويدعون الله أن ينصرهم .

\* \* \*

فهيم يخرج من حجرته مسرعاً ومعه صندوق صغير وخلفه هنية يكلمها وهو متعجل .

فهيم : هذا الصندوق فيه كل ما ادخرته ولابد أن أساهم به لتجهيز الجيش يا هنية .

هنية : انتظر. ( يتوقف فهيم فتخلع هنية أساورها وقرطها وعقدها وخاتمها ثم تعطيه لفهيم )

هنية : خذ هذه الأشياء معك فقد تنفع .

فهيم : ولكن ....!!

هنية : لا تراجعني فأنا لا أريد من الدنيا إلا أن تعود لي منصوراً سالماً .

( يربت فهيم على كتفها ثم يأخذ الذهب وينصرف )

\* \* \*

فهيم في دكانه وقد وضع أمامه الصندوق الذي به المال والذهب فإذا بأهل الحارة يضعون تبرعاتهم لفهيم والنساء تضعن له حليهن الذهبية حتى ملأت التبرعات المائدة التي وضعت عليها .

\* \* \*

في بيت قطز فهيم وعلي وبطرس يضعون تبرعات أهل الحارة فيأخذها قطز ويضعها بجوار باقي التبرعات فإذا هي مال وفير.

\* \* \*

سعد وأخته في بيتهما يجمعان الأواني النحاسية والأباريق النحاسية ثم يحملانها بصعوبة ويخرجان من البيت .

\* \* \*

فؤاد يركب الكَََارته ( عربة سوداء يجرها حصان ) وفي يده صرة صغيرة .

\* \* \*

(سعد وسعاد في محل بائع النحاس ) .

سعد : إذاً فقد اتفقنا على السعر , هات الثمن وخذ النحاس , بارك الله لك .

البائع : وعوض عليك يا ولدي .

( يأخذ الرجل النحاس ثم يعطي سعد المال فيأخذه وينصرف )

\* \* \*

( فؤاد يمشي في الحارة متوجها إلى البيت وفي يده الصرة , يمر على دكانِ عمه فيسلم عليه

فؤاد : السلام عليك ياعمي .

فهيم : وعليك السلام , أين كنت يا ولد كل هذا الوقت ؟

فؤاد : المهم هل فاتني طعام الغداء

فهيم : لم يفتك , ولكنك اقلقتني عليك ,وأين ذهب سعد وأخته ؟

( يأتي سعد وأخته في هذه اللحظة )

فهيم : أين كنتم جميعاً ؟

فؤاد : هيا نتناول طعام الغداء ونتكلم .

فهيم : هيا , ولكن لن أغفر لكم غيابكم بدون إذن .

\* \* \*

هنية تحضر طعام الغداء ويساعدها الأطفال بوضع الصحون على المنضدة الكبيرة .

هنية : ها قد عدتم أخيرا , أين كنتم يا أولاد لقد أقلقتمونا عليكم ؟

فؤاد : أنا كنت في البلد .

فهيم : ماذا قلت يا ولد ؟ هل سافرت وحدك ؟

فؤاد : هذا مصاغ أمي , خذه يا عمي وضمه للتبرعات .

فهيم : ولكنه مصاغ أمك , كيف تفعل ذلك ,هذا لن يكون ما دمت حياً .

( يدفع سعد إلى فهيم المال الذي كان في يده )

سعد : خذ يا عمي هذا هو ثمن النحاس الذي في بيتنا .

فهيم : أتبيع نحاس البيت يا سعد ؟

هنية : وأنت يا فؤاد كيف تتبرع بمصاغ أمك ؟ كيف طاوعك قلبك ؟ كيف تفعلون ذلك ؟

سعد : لقد اتفقنا أن نفعل ذلك خلسة فنحن نعلم أنكما ستعارضان , ولكن ينبغي أنكما ستفهمان موقفنا في النهاية .

سعد : لا قيمة لأي شيء والعدو على الأبواب , يمد يده ليسرق سعادتنا وحريتنا وأيامنا المقبلة , ينبغي أن نساهم .

فؤاد : لقد صدق سعد يا عمي , ينبغي أن نساهم جميعا , وعليك أن تفهم موقفنا وتساعدنا .

( يطأطئ فهيم رأسه قليلاً ليفكر ثم يأخذ منهم المال فيبتسمون ويندفعون إلى حضن عمهم )

\* \* \*

في ساحة كبيرة جنود يتدربون على فنون القتال نجد من بينهم فهيم وبطرس وعلي وسعيد بن علي وجورج بن بطرس وغيرهم كثيرون يلبسون ملابس الجنود ويتدربون على القتال .

\* \* \*

لقد تم تدريب الرجال وهاهم يودعون أهلهم ليخرجوا لملاقاة المغول فنجد فهيم وبطرس وعلي وجرجس وسعيد يرتدون زي العساكر ويخرجون من الحارة وبعدما اجتازوا الحارة انضم إليهم غيرهم من المحاربين , وكل عدة خطوات ينضم إليهم بعض المحاربين .

\* \* \*

( بهية وصباح وإيفون خلف المشربية يبكون والأطفال الصغار من حولهم خائفون . )

فؤاد : لماذا البكاء ؟

سعد : لا وقت للبكاء .

عزيز : لقد بدأ الرجال جهادهم , وبدأ جهادنا .

حبيب : نعم , علينا أن نوزع الأدوار.

فؤاد : سنفتح الدكاكين وستقمن برعاية الأطفال , وهذه الأشياء في غياب الرجال ستكون صعبة وعلينا أن نكون على قدر الموقف .

( تجفف النساء دموعها )

هنية : معكم حق , لابد أن نكون متماسكين وأن نقوم بواجبنا على أكمل وجه .

\* \* \*

في الحارة الدكاكين مفتوحة , حبيب وعزيز في دكان فهيم , وفؤاد في دكان بطرس , وسعد في دكان علي , يبيعون ويشترون ويكتبون كل شيء في أوراق أمامهم .

\* \* \*

( في المطبخ تجتمع صباح وإيفون وهنية فصباح تعجن العجين , وهنية جلست وقد انتفخت بطنها تقطع العجين , أما إيفون فهي تطهو الطعام . )

إيفون : أخاف أن يقل الدقيق .

هنية : لا تخافي فلدي جوال ويمكنني أن أحضر لكم دقيقاً من البلد لو قل الدقيق هنا المهم أن نتعود على ترشيد استهلاكنا .

صباح : المهم أن يردهم الله لنا سالمين .

الجميع : آمين .

\* \* \*

أمام الدكاكين جلس الأطفال الأربعة حبيب وعزيز وفؤاد وسعد على الكراسي متجاورين يتحدثون .

سعد : لقد عاد رمضان سريعا وأوشك أن ينتهي .

فؤاد : في رمضان الذي سبقه كنت مع أبي وأمي .

سعد : بارك الله لك في عمك فهيم ورده لنا سالما .

الجميع : آمين .

( يسمعون صوت منادٍ يمر في الشارع )

عزيز : اسمعوا

المنادي : يا أهالي القاهرة , البشرى لنا ولكم , التقى جيش مصر والمغول , وقتل الله قائدهم كتبغانوين , فإلى سقر وبئس المصير , يا أهالي القاهرة . البشرى لنا ولكم .

حبيب : قُتِلَ قائد المغول .

الجميع : الله أكبر .

( تتردد الله أكبر من البيوت ردا علي كلام المنادي ثم نسمع زغاريد النساء )

\* \* \*

صباح تتحدث مع هنية .

صباح : وماذا سنفعل في هذه المشكلة , لقد نفد السكر ولا أجد في السوق .

هنية : لما نفد السكر تذكرت جرة العسل التي في المخزن فقسمتها بينناوهذا هو نصيبك إلى أن يأتي السكر

( تدخل إيفون عليهما وتلقي عليهم السلام وبيدها جوال صغير )

إيفون لا تحملا هما للسكر لقد بحثت حتى وجدت السكر , علينا أن نقسمه بيننا .

\* \* \*

بين الدكاكين نرى الأطفال يقومن بعملهم ويستشير بعضهم بعضاً .

\* \* \*

هنية تطوي الملابس للأطفال , تتقدم منها طفلة صغيرة .

الطفلة : انظري يا أمي لقد قطع ثوبي , هل ستشتري لي ثوبا جديدا ؟

هنية  [: نعم يا حبيبتي ولكن ليس الآن , هاتي ثوبك أرفأه لك ليصبح كالجديد](حبيبتي%20ولكن%20ليس%20الآن%20...%20هاتي%20ثوبك%20أرفيه%20لك%20ليصبح%20كالجديد) .

( تأخذ هنية من جوارها علبة صغيرة بها إبرة وخيط , لترفأ ثوب الطفلة )

\* \* \*

وائل يستمع لجده وهو لا يكف عن الأسئلة .

وائل : ولكن ياجدي ماسر هذه الأزمات التي تحدث , أن ينفذ السكر أو الدقيق ؟

الجد : هذ الأشياء عادة تحدث في الحروب , فالرجال في الحرب وهم في الأصل المسؤلون عن حركة التجارة وتوريد البضائع من هنا لهناك ... ومن الطبيعي أن تسير هذه الحركة ببطء أثناء الحرب وتحدث الأزمات .

وائل : آآآآه ... فهمت .

\* \* \*

يجلس الأطفال أمام الدكاكين عزيز وحبيب وفؤاد وسعد , تمر أمامهم سعاد وهي تجري ولا تلتفت لهم فينادي أخوها عليها .

سعد : إلى أين يا سعاد ؟

سعاد : سأحضر خالتي أم ابراهيم , خالتي هنية تتوجع .

( تقول سعاد كلماتها وهي تسرع , يقوم الأولاد يغلقون الدكاكين ويسرعون ليكونوا بجانب أمهم هنية ) .

\* \* \*

أم ابراهيم تدخل المنزل مسرعة وتدخل غرفة هنية ويبقى في البهو كل الأطفال سعد وإخوته وفؤاد وإخوته وحبيب وعزيز وأبناء إيفون وأبناء صباح ... أما صباح فهي تقرأ القرآن وتدعو لها .. وإيفون تصلي من أجلها .

نسمع صوت صراخ الطفل فيهلل الأطفال ويفرحون , وبعد قليل تخرج أم ابراهيم لتهنئهم

أم ابراهيم : مبروك جاءكم طفل جميل .

( نسمع صوت دقات طبول فيجري الجميع إلى المشربية يستمعون , ثم صوت المنادي فينصت الجميع )

ص. المنادي : يا أهالي القاهرة , البشرى لنا ولكم , انتصر السلطان قطز على جيش المغول .

( يكرر المنادي النداء فيهلل الأطفال والناس وتعلو أصوات الناس بالتكبير وزغاريد النساء تنطلق )

\* \* \*

فهيم يرتدي زي المحاربين يمسك طفله الصغير بحب وحنان وبجانبه تجلس هنية وهي في غاية السعادة

فهيم : سأسميه منتصراً .

( يضحك الجميع ويباركون لفهيم , ويغني الأطفال أغنية للنصر ولمنتصر الصغير )

\* \* \*

تمت بحمد الله تعالى

تأليف : إيمان راضي أبو العينين

كل ماورد عن المغول من مجلة الثقافة العالمية دورية تصدر كل شهرين

العدد :38

بتاريخ :7- 1997

المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة الكويت

بقلم :ليوجارت

ترجمة :د. شهرت العالم

\* \* \*

الأحداث التاريخية لهذه الفترة من كتاب النجوم الزاهرة لملوك مصر والقاهرة ( الجزء السابع )

تأليف : جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي